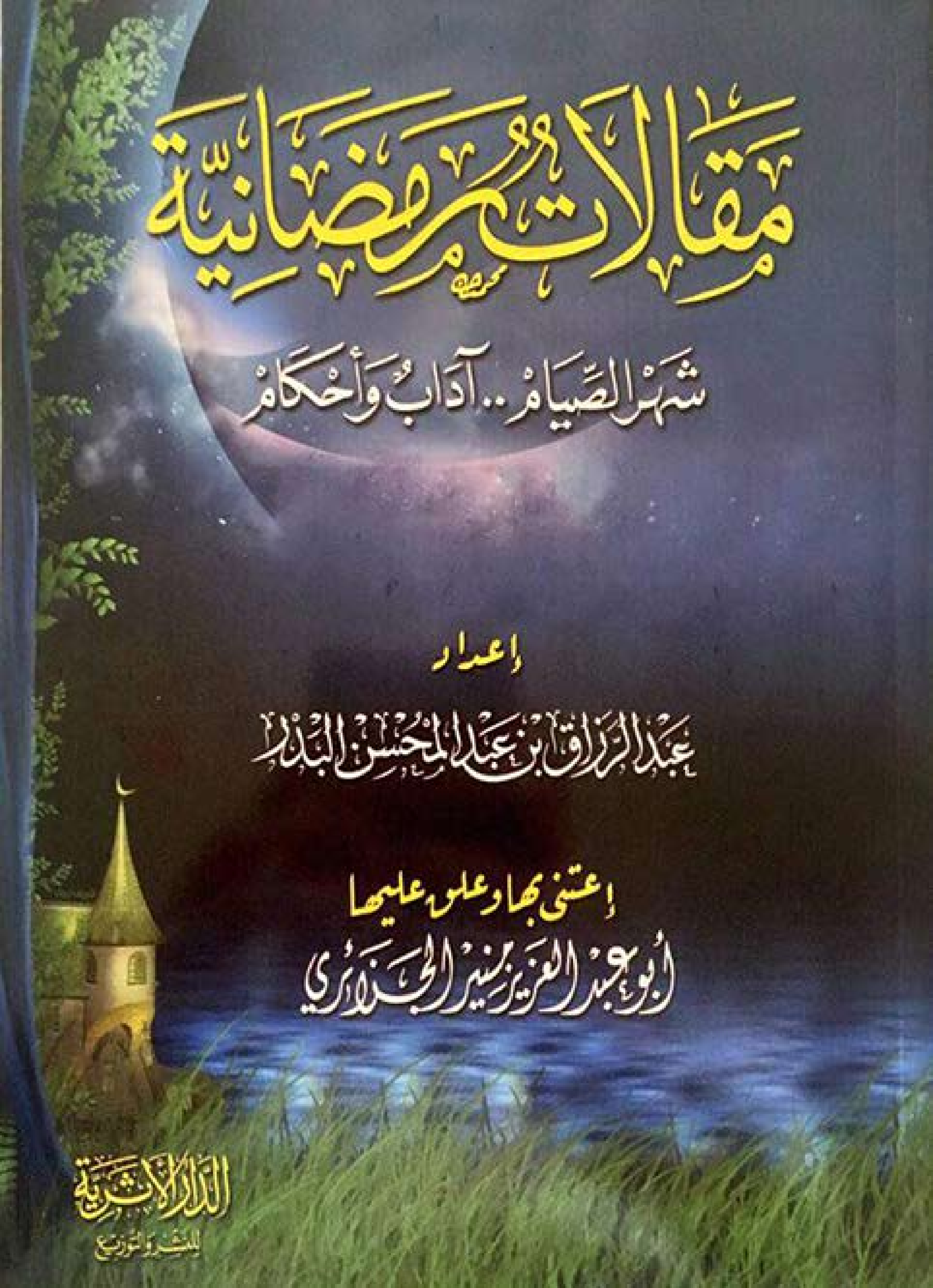
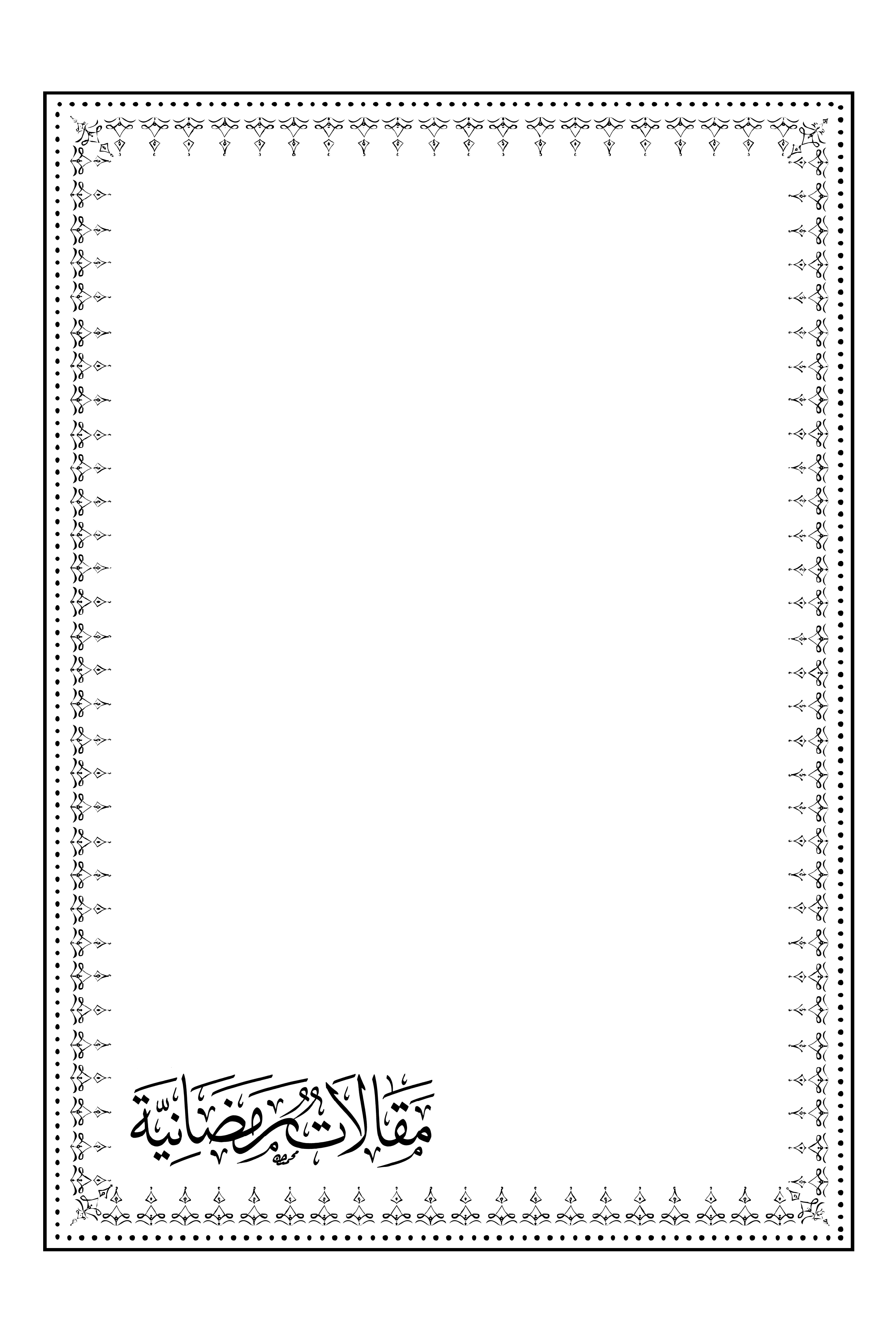


مقالات رمضانية
شهر الصيام.. آداب وأحكام
إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
إعتنى بها وعلق عليها
أبو عبد العزيز منير الجزائري
الدار الأثرية
للنشر والتوزيع


مقالات رمضانية

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الإيداع القانوني : ٠٤/ ٢٠١٨

ISBN:٩٧٨-٩٩٩١-٩٣٤-٦٩-٢



عنابة _ الجزائر

جوال : ٠٠٢١٣٧٩١٣١٧٧٣٤

dar_elatharia@yahoo.fr



إعداد

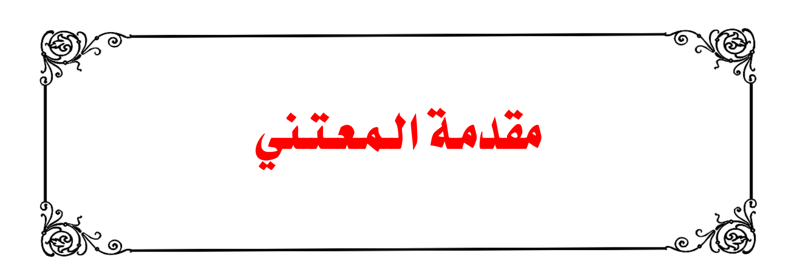
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

اعتنى بها وعلق عليها

أبو عبد العزيز منير الجزائري




بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة المعتني

الحمدُ لله الذي وفق عباده المؤمنين لأداء الأعمال الصالحات، وشرح صدورَ أوليائه المتقين للإيمان بما جاء به رسوله من الحكمة والآيات، وكشف عن قلوب أحبابه حجب الجهالة والضلالات، ويسر لهم من الباقيات الصالحات ما يتبوَّءون به منازل الجنات، فضلًا منه ونعمة، وربك يخلق ما يشاء ويختار من المخلوقات.

أحمده سبحانه علىٰ ما له من الأسماء الحسنىٰ والصفات، وأشكره علىٰ ما أسداه من الإنعام والبركات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها رفيع الدرجات، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صاحب الآيات والمعجزات.

اللهم صَلِّ علىٰ عبدك ورسولك محمد، وعلىٰ آله وأصحابه ذوي الهمم العاليات، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

إخواني في الله، إن شهر رمضان «شهر ليس (كسائر) الشهور، ولا فُضِّلت به أمة غير هذه الأمة في سائر الدهور، الذنب فيه مغفور، والسعي فيه مشكور،

والمؤمن فيه محبور، والشيطان مبعد مثبور، والوزر والإثم فيه مهجور، وقلب المؤمن بذكر الله معمور، وقد أناخ بفنائكم، وهو عن قليل راحل عنكم، شاهد لكم وعليكم، مؤذن بشقاوة أو سعادة، أو نقصان أو زيادة...

فاللهَ اللهَ أكرموا نهاره بتحقيق الصيام، واقطعوا ليله بطول البكاء والقيام؛ فلعلكم أن تفوزوا بدار الخلد والسلام، مع النظر إلىٰ وجه ذي الجلال والإكرام»[(١)].

«ومن أكرمه الله -جل وعلا- وفسح في أجله، ومَدَّ في عمره ليصل ويبلغ هذا الشهر الكريم، فهذه مِنة عظيمة علىٰ العبد ليشارك أهل الإسلام في قطف جنىٰ هذا الموسم العظيم المبارك موسم الطاعة والإيمان، والتقرب إلىٰ الرحمن ﷻ»[(٢)].

إخواني في الله: بين أيديكم مقالات نافعة، وكلمات ماتعة، سطرها شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر -حفظه الله-؛ في الترغيب في عبادة الصيام، وما يتعلق بها من آداب وأحكام، والتنبيه علىٰ بعض المخالفات التي قد يقع فيها بعض أهل الإسلام، وهي مناسبة لعامة الناس وطلبة العلم؛ بل فيها إعانة للواعظ في موعظته، وللمحاضر في محاضرته، وللخطيب في خطبته[(٣)]؛ لما جمعت بين التأصيل العلمي وبساطة الأسلوب، مدعمة بنصوص الكتاب

(١) «بستان الواعظين» (ص٢١٩).

(٢) «وجاء شهر رمضان» (ص٥)، لشيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر -حفظه الله-.

(٣) ولهذا أضفت في آخر الكتاب خطبة لعيد الفطر للشيخ -حفظه الله-.

والسنة وكلام علماء الأمة.

فاستأذنت فضيلته في جمعها وترتيبها والتعليق علىٰ بعض المواضع منها(١)، فما كان من الشيخ إلا الموافقة والتشجيع، فجزاه الله خيرًا.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لإخواني القائمين علىٰ الموقع الرسمي لشيخنا عبد الرزاق؛ فقد استفدت كثيرًا من جهودهم المباركة، فجزاهم الله خيرًا.

محبكم في الله
أبو عبد العزيز منير الجزائري
abou-abdelaziz@hotmail.fr

---

(١) كان ذلك في بيت شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر -حفظه الله- بالمدينة النبوية، يوم الأربعاء (٢ربيع الثاني ١٤٣٩هـ، الموافق لـ ٢٠/ ١٢/ ٢٠١٧م).



استِقبَالُ شَهرِ رَمَضَان

إن من نِعَمِ الله العظيمة علىٰ عباده أن جعل لهم مواسم متعددة للعبادات؛ تكثُر فيها الطاعات، وتُقال فيها العثرات، وتُغفر فيها الذنوب والسيئات، وتُضاعف فيها الحسنات، وتَتَنزَّل فيها الرَّحمات، وتعظم فيها الهبات، وإن من أجلِّ هذه المواسم وأكرمها علىٰ الله شهر رمضان المبارك، قال تعالىٰ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة:١٨٥].

فيا له من شهر كريم وموسم عظيم! شهر البركات والخيرات، شهر الصيام والقيام، شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار، شهر الجود والكرم والبذل والعطاء والمعروف والإحسان.

لقد كان رسول الله ﷺ يبشِّر أصحابه بمقدم هذا الشهر العظيم ويستحثهم فيه علىٰ الاجتهاد بالأعمال الصالحة من فرائض ونوافل من صلواتٍ وصدقات، وبذل معروفٍ وإحسان، وصبرٍ علىٰ طاعة الله، وعمارة نهاره بالصيام وليله بالقيام، وشَغلِ أوقاته المباركة بالذكر والشكر والتسبيح والتهليل وتلاوة القرآن[١].

---

(١) **قال العلامة عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أعلم شيئًا معينًا لاستقبال رمضان سوىٰ أن يستقبله =

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «هَذَا رَمَضَانُ قَد جَاءَ، تُفتَحُ فِيهِ أَبوَابُ الجَنَّةِ وَتُغلَقُ فِيهِ أَبوَابُ النَّارِ وَتُسَلسَلُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيلَةٍ مِن شَهرِ رَمَضَانَ صُفِّدَت الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَت أَبوَابُ النَّارِ فَلَم يُفتَح مِنهَا بَابٌ، وَفُتِّحَت أَبوَابُ الجَنَّةِ فَلَم يُغلَق مِنهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيرِ أَقبِل، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقصِر، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِن النَّارِ وَذَلك كُلَّ لَيلَةٍ»(٢).

وروىٰ أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال: لَمَّا حَضَرَ رَمَضَانُ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَد جَاءَكُم رَمَضَانُ شَهرٌ مُبَارَكٌ افتَرَضَ اللهُ عَلَيكُم صِيَامَهُ، تُفتَحُ فِيهِ أَبوَابُ الجَنَّةِ، وَيُغلَقُ فِيهِ أَبوَابُ الجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيلَةٌ خَيرٌ مِن أَلفِ شَهرٍ مَن حُرِمَ خَيرَهَا قَد حُرِمَ»(٣).

=

المسلم بالفرح والسرور والاغتباط وشكر الله أن بلغه رمضان، ووفقه فجعله من الأحياء الذين يتنافسون في صالح العمل، فإن بلوغ رمضان نعمة عظيمة من الله.

ولهذا كان النبي ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان مبينًا فضائله، وما أعد الله فيه للصائمين والقائمين من الثواب العظيم.

ويشرع للمسلم استقبال هذا الشهر الكريم بالتوبة النصوح والاستعداد لصيامه وقيامه بنية صالحة وعزيمة صادقة». «مجموع فتاويه» (١٥/ ٩).

(١) رواه النسائي (٢١٠٣)، وأحمد (١٣٤٠٨)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٣٥٧٠).

(٢) رواه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، واللفظ للترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٩٨).

(٣) رواه أحمد (٧١٤٨)، وصححه الألباني في «تمام المنة» (ص٣٩٥).

=

لقد وصف رسول الله ﷺ شهر رمضان بأنه شهر مبارك ، فهو شهر مبارك حقًّا، كل لحظة من لحظات هذا الشهر تتصف بالبركة؛ بركةٍ في الوقت، وبركة في العمل، وبركة في الجزاء والثواب، وفيه ليلة القدر المباركة التي هي خير من ألف شهر، وإن من بركة هذا الشهر كما تقدم أن الحسنات فيه تضاعف، وأبواب الجنان تفتح، وأبواب النيران تغلق، والشياطينَ ومردةَ الجنِّ تصفد، ويكثر فيه عتقاء الله من النار.

وثبت في «الصحيحين»، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ، وَمَن قَامَ لَيلَةَ القَدرِ إِيمَانًا وَاحتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ**»[1].

وقال ﷺ: «**مَن قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ**»[2].

هذا ؛ وإن من أعظم الخسران وأكبر الحرمان أن يدرك المرء هذا الشهر الكريم المبارك شهر المغفرة فلا تُغفر له فيه ذنوبه ولا تحط عنه خطاياه؛ لكثرة إسرافه وعدم توبته، وتركه في هذه الأوقات العطرة والأيام الفاضلة الإقبال

=

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: «قال بعض العلماء: هذا الحديث أصل في تهنئة الناس بعضهم بعضًا بشهر رمضان؛ كيف لا يبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان؟ كيف لا يبشر المذنب بغلق أبواب النيران؟ كيف لا يبشر العاقل بوقت يغل فيه الشياطين؟ من أين يشبه هذا الزمان زمان؟». «لطائف المعارف» (ص١٥٨).

(١) رواه البخاري (٢٠١٤) ، ومسلم (٧٦٠).

(٢) رواه البخاري (٣٧)، ومسلم (٧٥٩).

علىٰ الله بالإنابة والرجوع والخضوع والخشوع والتوبة والاستغفار، بل يدخل عليه هذا الشهر الكريم ويخرج وهو باقٍ علىٰ ذنوبه مُصِرٌّ علىٰ خطاياه، سادر في غيِّه.

روىٰ الطبراني في «معجمه»، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أَتَانِي جِبرِيلُ** عليه السلام، **فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَن أَدرَكَ أَحَدَ وَالِدَيهِ فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبعَدَهُ اللهُ؟ قُل: آمِينَ، فَقُلتُ: آمِينَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَن أَدرَكَ شَهرَ رَمَضَانَ، فَمَاتَ فَلَم يُغفَر لَهُ فَأُدخِلَ النَّارَ فَأَبعَدَهُ اللهُ؟ قُل: آمِينَ، فَقُلتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَن ذُكِرتُ عِندَهُ فَلَم يُصَلِّ عَلَيكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبعَدَهُ اللهُ؟ قُل: آمِينَ ، فَقُلتُ: آمِينَ**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**رَغِمَ أَنفُ رَجُلٍ ذُكِرتُ عِندَهُ فَلَم يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انسَلَخَ قَبلَ أَن يُغفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنفُ رَجُلٍ أَدرَكَ عِندَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَم يُدخِلَاهُ الجَنَّةَ**»[(٢)].

إن شهر رمضان شهر ربح وغنيمة، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد فيه أكثر مما يجتهد في غيره، وكان السلف -رضوانُ الله عليهم ورحمتهُ- يهتمون بهذا الشهر غاية الاهتمام، ويتفرغون فيه للتقرب إلىٰ الله بالأعمال الصالحة، وكانوا يجتهدون في قيام ليله وعمارة أوقاته بالطاعة.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٢٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٩٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥١٠).

قال الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا دخل رمضان إنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام»[(١)].

هذا هو شأن رمضان عند السلف -رحمهم الله-: جدٌّ واجتهاد، صيامٌ وقيام، عبادةٌ وتلاوة قرآن، تهليلٌ وتسبيحٌ وبرٌّ وإحسان، عطفٌ ومواساةٌ وإطعام.

إن شهر رمضان ضيف عزيز علىٰ المسلمين ووافد كريم عليهم؛ فحريٌّ بهم أن يُحسِنوا استقباله بما يستحقه من حفاوة وإكرام، فإنه إذا نزل بالإنسان ضيفٌ كريم فإنه يفرح بمقدمه ويُسَرُّ بمجيئه ويبذل له كل غالٍ ونفيس، وشهر رمضان هو أكرم ضيف وأنبله وأزكاه وأطهره فلنفرح بإدراكه وبأن بلَّغنا الله إياه، فكم من قريبٍ وصديقٍ وجارٍ شهد معنا رمضان الماضي ثم اخترمته المنية فلم يدرك هذا الشهر، فلنشكر الله علىٰ ما أنعم به علينا من إدراك هذا الشهر، وليكن ذلك باستغلال أوقاته المباركة فيما يُقرِّب إلىٰ الله من طاعات نافعة وأعمال مبرورة وتوبة نصوح وإحسان.

قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

وصيام رمضان من دعائم الإسلام ومن مبانيه وأركانه العظام، وفي هذا الشهر نزلت رحمة الله علىٰ عباده التي هي القرآن؛ فحُقَّ لنا أن نفرح بهذا الشهر

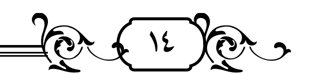
---

(١) «لطائف المعارف» (ص١٨٣).

وأن نشكر الله عليه ونغتنمه فيما شرع الله، وأراد من عمارة نهاره بالصيام والمنافسة في جميع أبواب الخيرات، وليله بالصلاة وتلاوة القرآن والذكر والبر والإحسان.

اللهم وفِّقنا لطاعتك، وأعِنَّا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ويسِّرنا لليسرىٰ، وأتِمَّ علينا النعمة بالقيام بحق هذا الضيف الكريم، وأعنَّا علىٰ صيامه وقيامه وحُسن الأدب فيه يا رب العالمين.







شهر رمضان مِنَّةٌ عُظمى

لقد أنعم الله علىٰ عباده بنعمٍ كثيرة لا تحصىٰ ولا تعد ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤].

نعَمٌ مطلقة ونعَمٌ مقيدة، نعَمٌ دينية ونعَمٌ دنيوية، دلَّ العباد عليها وهداهم إليها ودعاهم إلىٰ دار السلام ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس:٢٥].

وعافاهم في عقولهم وأبدانهم ورزقهم من الطيبات، وسخَّر لهم ما في السموات وما في الأرض؛ وكل هذا الإنعام منه سبحانه ليشكره العباد ويعبدوه وحده لا شريك له؛ لينالوا مرضاته ويفوزوا بمنَنِه ورحماته.

وإن من عظيم هباته وجزيل نعمائه علىٰ عباده المؤمنين أن شرع لهم صيام شهر رمضان المبارك، وجعله أحد أركان الدين العظام ومبانيه التي عليها يقوم، ولما كان صيام رمضان من النعم العظيمة التي منَّ الله بها علىٰ عباده ختم الله الآيات التي أمر فيها بصيام شهر رمضان بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥]؛ لأن الشكر هو الغاية من خلقه للخلق وتنويعه للنعم.

وأصلُ الشكر وحقيقته: «الاعتراف بإنعام المنعِم علىٰ وجه الخضوع له

والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمةَ بل كان جاهلًا بها لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعِمَ بها لم يشكرها أيضًا، ومن عرف النعمة والمنعِم لكن جحدها كما يجحد المنكرُ لنعمة المنعِم عليه بها فقد كفَرَها، ومن عرف النعمة والمنعِم وأقرَّ بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له ويحبه ويرضَ به وعنه لم يشكرها أيضًا، ومن عرفها وعرَف المنعِم بها وخضع له وأحبَّه ورضي به وعنه، واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها»[(١)].

وبهذا يتبين أن «الشكر مبنيٌّ علىٰ خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وألا يستعملها فيما يكره؛ فهذه القواعد الخمس هي أساس الشكر وبناؤه عليها، فمتىٰ عدِم منها واحدةٌ اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكلُّ من تكلم في الشكر وحدِّه فكلامه إليها يرجع وعليها يدور»[(٢)].

والناس متفاوتون تفاوتًا عظيمًا في تحقيق الشكر لتفاوتهم في العلم بموجباته بمعرفة الخالق الجليل والرب العظيم والمنعم الكريم، فمنهم من عرف الله بتفاصيل أسمائه وصفاته وأفعاله، وبديع مخلوقاته ومفعولاته، وجميل آلائه وهباته؛ فامتلأ قلبه حبًّا له، ولهج لسانه بالثناء عليه، ولانت جوارحه قيامًا بما يرضيه، واعترف له بكل نعمه التي أنعم بها عليه وسخرها فيما يحبه ويرضاه، ومنهم من دَسَّ نفسه بالغفلة عن الله والجهل به فلم يزدد من

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص ١٧٥).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٤٤).

الله إلا بعدًا بجحوده وإنكاره، أو باعترافه به وعدم الانصياع لأمره والانقياد لشرعه.

وشهر رمضان المبارك منحةٌ إلهية، وهبةٌ ربانية للعباد؛ ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، وليتوب من كان مفرِّطًا ومقصِّرًا، ولقد اختص الله هذا الشهر بخصائص وميَّزه بمزايا انفرد بها عن سائر الشهور، ولنقِف علىٰ بعضها لندرك عظمة هذه النعمة التي أنعم الله بها علينا؛ لنشكره حق الشكر ونعبده حق العبادة:

إن لشهر رمضان الكريم -شهر الصوم- خصوصية بالقرآن؛ فهو الشهر الذي أُنزِل فيه القرآن الكريم هدىٰ للناس، قال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥].

فقد امتدح الله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره لإنزال القرآن العظيم، بل قد ورد في الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه علىٰ الأنبياء.

ففي «المسند» للإمام أحمد، و«المعجم الكبير» للطبراني، من حديث واثلة ابن الأسقع: أن رسول الله ﷺ قال: «**أُنزِلَت صُحُفُ إِبرَاهِيمَ** عليه السلام **فِي أَوَّلِ لَيلَةٍ مِن رَمَضَانَ، وَأُنزِلَت التَّورَاةُ لِسِتٍّ مَضَينَ مِن رَمَضَانَ، وَالإِنجِيلُ لِثَلَاث عَشرَةَ خَلَت مِن رَمَضَانَ، وَأُنزِلَ الفُرقَانُ لِأَربَعٍ وَعِشرِينَ خَلَت مِن رَمَضَانَ**»[1].

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٢١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧٦٤٦)، واللفظ للإمام أحمد، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٥٧٥).

فهذا الحديث يدل علىٰ أن شهر رمضان هو الشهر الذي كانت تنزل فيه الكتب الإلهية علىٰ الرسل عليهم السلام، إلا أنها كانت تنزل علىٰ النبي الذي أنزلت عليه جملة واحدة، وأما القرآن الكريم فلمزيد شرفه وعظيم فضله فإنما نزل جملةً واحدة إلىٰ بيت العزة من السماء الدنيا، وكان ذلك في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان:٣].

ثم بعد ذلك نزل مفرَّقًا علىٰ مواقع النجوم يتلو بعضه بعضًا.

وفي هذا دلالةٌ علىٰ عِظَم شأن شهر الصوم -شهر رمضان المبارك-، وأن له خصوصية بالقرآن الكريم؛ إذ فيه حصل للأمة من الله هذا الفضلُ الكبير، نزولُ وحيه العظيم، وكلامه الكريم المشتمل علىٰ الهداية ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ الهداية لمصالح الدين والدنيا، وفيه تبيان الحق بأوضح بيان، وفيه الفرقان بين الهدىٰ والضلال، والحق والباطل، والظلمات والنور.

ثم إن شهر رمضان فيه ليلة القدر التي قال الله عنها: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٢-٣]؛ أي: العمل فيها خيرٌ من العمل في ألف شهرٍ سواها، وكذا الأجر.

وصيام هذا الشهر سببٌ لمغفرة الذنوب؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَن صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ**»[1].

(١) رواه البخاري (٢٠١٤)، مسلم (٧٦٠).

أي: إيمانًا بالله ورضًا بفرضية الصوم عليه واحتسابًا لثوابه وأجره، ولم يكن كارهًا لفرضه ولا شاكًّا في ثوابه وأجره؛ فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه.

وفي «صحيح مسلم»، عن أبي هريرة أيضًا: أن النبي ﷺ قال: «**الصَّلَوَاتُ الخَمسُ، وَالجُمعَةُ إِلَىٰ الجُمعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَينَهُنَّ إِذَا اجتَنَبَ الكَبَائِرَ**»[1].

إضافةً إلىٰ ما تقدم ذِكرُه؛ فإن من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، وأنه تصفَّد فيه الشياطين، وتُفتح أبواب الجنة وتُغلق أبواب النار، ولله في هذا الشهر عتقاء من النار وذلك كل ليلة.

وفي هذا الشهر المبارك نصَرَ الله المسلمين علىٰ أعدائهم المشركين في «غزوة بدر الكبرىٰ»[2]، وكان عدد المشركين في تلك الغزوة ثلاثة أضعاف

(١) رواه مسلم (٢٣٣).

(٢) **قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر -حفظه الله-**: «وهي أولىٰ الغزوات الكبار، وقد دارت رحاها بين المسلمين وكفار قريش، وكان النبيﷺ خرج في الأصل لملاقاة عير لقريش قادمة بتجارة من الشام صحبة أبي سفيان، فاستصرخ أبو سفيان قريشًا في مكة، وأرسل لهم الصريخ، فتجهزوا وخرجوا لملاقاة النبيﷺ، وفرت العير، وتلاقىٰ النبي -عليه الصلاة والسلام- والمشركون في الموقعة المعروفة بـ(بدر)، وحصل القتال والتحم الصفان، ومن الله سبحانه وتعالى علىٰ المؤمنين بالنصر المبين، وانهزم الكفار شر هزيمة، وأعطوا أكتافهم للمؤمنين فارين، يأسر المسلمون منهم فريقًا ويقتلون فريقًا، فأسروا منهم سبعين، وقتلوا منهم سبعين...في اليوم السبع عشر من شهر الصوم رمضان المبارك من السنة الثانية للهجرة». «شرح الأرجوزة الميئية» (ص٦١).

المسلمين، وفيه «فتح الله مكة المكرمة»[1] البلد الآمن علىٰ يد رسول الله ﷺ وطهَّرها من الأصنام، وكان عدد الأصنام في البيت وحوله ثلثمائة وستون صنمًا، فجعل رسول الله ﷺ يحطم هذه الأصنام ويقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١]، فهو شهر الجدِّ والنشاطِ والعمل، شهر العبادةِ والجهادِ في سبيل الله؛ فحقيقٌ بشهرٍ هذا فضله وهذا إحسان الله علىٰ عباده فيه أن يعظِّمه العباد، وأن يكون موسمًا لهم للعبادة وزادًا ليوم المعاد.

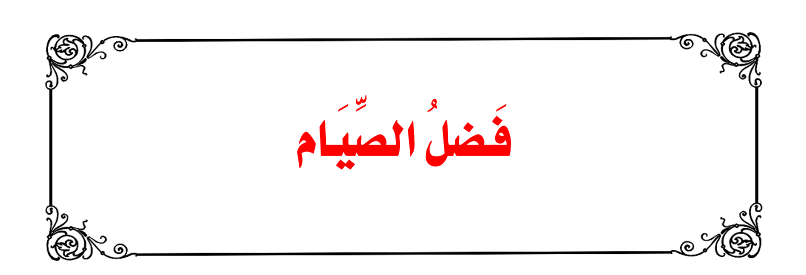
اللهم اجعلنا ممن يعرِف لهذا الشهر مكانته وحُرمَتَه، ووفِّقنا للقيام فيه بما يرضيك إنك سميع الدعاء.

اللهم وفِّقنا لطاعتك، وأعِنَّا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ويسِّرنا لليسرىٰ، وأتِمَّ علينا النعمة بالقيام بحق هذا الضيف الكريم، وأعنَّا علىٰ صيامه وقيامه وحُسن الأدب فيه يا رب العالمين.

❊ ❊ ❊

---

(١) **قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر –حفظه الله–:** «وفي شهر الصيام من السنة الثامنة للهجرة قد كان فتح البلد الحرام، وهذا الفتح ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في مواضع من القرآن منها قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ [الحديد:١٠]». «شرح الأرجوزة الميئية» (ص٨٩).



فَضلُ الصِّيَام

إن الصوم من أفضل العبادات وأجل الطاعات، جاءت بفضله وعظيم شأنه نصوص عديدة.

فمن فضائل الصوم: أن الله كتبه علىٰ جميع الأمم وفرضه عليهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣].

ولولا أنه عبادة عظيمة لا غنىٰ للخلق عن التعبد بها لله وعمَّا يترتب عليها من ثواب ما فرضه الله علىٰ جميع الأمم، والغاية المرجوة من الصيام تحقق التقوىٰ التي أمر الله ووصَّىٰ بها جميع الأمم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ﴾ [النساء:١٣١].

ومن فضائل الصوم: أن ثوابه لا يتقيد بعدد معيَّن بل يعطىٰ الصائم أجره بغير حساب.

أخرج الشيخان في «صحيحيهما»، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ: كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يومُ صَومِ أَحَدِكُم فَلَا يرفُث وَلَا يصخَب، فَإِن سَابَّهُ أَحَدٌ أَو قَاتَلَهُ؛**

فَليَقُل إِنِّي امرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطيَبُ عِندَ اللهِ مِن رِيحِ المِسكِ، لِلصَّائِمِ فَرحَتَانِ يَفرَحُهُمَا إِذَا أَفطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَومِهِ»[(١)].

وفي رواية لمسلم: «كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ يُضَاعَفُ؛ الحَسَنَةُ عَشرُ أَمثَالِهَا إِلَىٰ سَبعِمِائَة ضِعفٍ، قَالَ اللهُ ﷻ: إِلَّا الصَّومَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجزِي بِهِ، يَدَعُ شَهوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِن أَجلِي».

وهذا الحديث الجليل يدل علىٰ فضيلة الصوم من وجوه عديدة فصَّلها العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]:

الأول: أن الله اختص لنفسه الصوم من بين سائر الأعمال وذلك لشرفه عنده ومحبته له وظهور الإخلاص له سبحانه فيه ؛ لأنه سِرٌّ بين العبد وبين ربه لا يطلع عليه إلاَّ الله، فإن الصائم يكون في الموضع الخالي من الناس متمكِّنًا من تناول ما حرَّم الله عليه بالصيام فلا يتناوله لأنه يعلم أن له ربًّا يطلع عليه في خلوته، وقد حرَّم عليه ذلك فيتركه لله خوفًا من عقابه ورغبة في ثوابه ؛ فمن أجل ذلك شَكَرَ الله له هذا الإخلاص واختص صيامه لنفسه من بين سائر أعماله، ولهذا قال: «يَدَعُ شَهوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِن أَجلِي».

وتظهر فائدة هذا الاختصاص يوم القيامة، كما قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ يُحَاسِبُ اللهُ ﷻ عَبدَهُ وَيُؤَدِّي مَا عَلَيهِ مِنَ المَظَالِمِ مِن سَائِرِ

---

(١) رواه البخاري(١٩٠٤)، ومسلم (١١٥٠)، واللفظ للبخاري.

(٢) «مجموع فتاويه» (٢٠/ ١٤٤).

عَمَلِهِ حَتَّىٰ لاَ يَبقَىٰ إِلاَّ الصَّوم، فَيَتَحَمَّلُ اللهُ ﷻ مَا بَقِيَ عَلَيهِ مِنَ المَظَالِمِ وَيُدخِلُهُ بِالصَّومِ الجَنَّةَ»(١).

الثاني: أن الله قال في الصوم: «**وَأَنَا أَجزِي بِهِ**»؛ فأضاف الجزاء إلىٰ نفسه الكريمة؛ لأن الأعمال الصالحة يضاعف أجرها بالعدد، الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة، أما الصوم فإن الله أضاف الجزاء عليه إلىٰ نفسه من غير اعتبار عدد، وهو سبحانه أكرم الأكرمين وأجود الأجودين، والعطية بقدر معطيها فيكون أجر الصائم عظيمًا كثيرًا بلا حساب.

وفي الصيام اجتمع الصبر بأنواعه كلها: فهو صبر علىٰ طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر علىٰ أقدار الله المؤلمة، من الجوع والعطش وضعف البدن والنفس، فاجتمعت فيه أنواع الصبر الثلاثة، وتحقق أن يكون الصائم من الصابرين، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

الثالث: أن الصوم جُنَّة؛ أي: وقاية وستر يقي الصائم من اللغو والرفث، ولذلك قال: «**وَإِذَا كَانَ يَومُ صَومِ أَحَدِكُم فَلَا يَرفُث وَلَا يَصخَب**».

ويقيه أيضًا من النار؛ أخرج الإمام أحمد في «مسنده»، عن جابر بن عبد الله ﵁: أن النبي ﷺ قال: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ يَستَجِنُّ بِهَا العَبدُ مِن النَّارِ**»(٢).

الرابع: أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك؛ لأنها من آثار

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ٢٧٤).

(٢) رواه أحمد (١٥٢٠٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٦٧).

الصيام، فكانت طيِّبة عند الله سبحانه ومحبوبة له، وهذا دليل علىٰ عظيم شأن الصيام عند الله حتىٰ إن الشيء المكروه المستخبث عند الناس يكون محبوبًا عند الله وطيِّبًا لكونه نشأ عن طاعته بالصيام.

الخامس: أن للصائم فرحتين: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه.

أما فرحه عند فطره: فيفرح بما أنعم الله عليه من القيام بعبادة الصيام الذي هو من أفضل الأعمال الصالحة، وكم من أناس حرموه فلم يصوموا، ويفرح بما أباح الله له من الطعام والشراب والنكاح الذي كان محرمًا عليه حال الصوم.

وأما فرحه عند لقاء ربه: فيفرح بصومه حين يجد جزاءه عند الله تعالىٰ موفورًا كاملًا في وقت هو أحوج ما يكون إليه حين يقال: أين الصائمون ليدخلوا الجنة من باب الريان الذي لا يدخله أحد غيرهم؟

ومن فضائل الصيام: أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة، روىٰ أحمد والطبراني والحاكم، وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم، عن عبد الله بن عمرو ﵄: أن النبي ﷺ قال: «**الصِّيَامُ وَالقُرآنُ يَشفَعَانِ لِلعَبدِ يَومَ القِيَامَةِ؛ يَقُولُ الصِّيَامُ: أَي رَبِّ مَنَعتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعنِي فِيهِ، وَيَقُولُ القُرآنُ: مَنَعتُهُ النَّومَ بِاللَّيلِ فَشَفِّعنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ**»[1].

ومنها: أن للصائمين بابًا في الجنة يقال له الريان لا يدخل منه إلا الصائمون،

---

(١) رواه أحمد (٦٦٢٦)، والحاكم في «مستدركه» (٢٠٣٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٨٤).

روىٰ البخاري ومسلم عن سهل بن سعد ﵁: أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدخُلُ مِنهُ الصَّائِمُونَ يَومَ القِيَامَةِ لَا يَدخُلُ مِنهُ أَحَدٌ غيرُهُم، يُقَالُ: أَينَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدخُلُ مِنهُ أَحَدٌ غيرُهُم، فَإِذَا دَخَلُوا أُغلِقَ فَلَم يَدخُل مِنهُ أَحَدٌ**»(١).

ومن فضائل الصيام: أن العبد إذا قام به علىٰ الوجه المشروع وأدَّاه متحريًا فيه الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ، فإنه يؤتي كثيرًا من الثمرات اليانعة؛ من الثبات علىٰ الحق، وزيادة الإيمان، وقوة اليقين، والتحلي بالأخلاق الجميلة، وانكسار الشهوة، وانبعاث الأعمال القلبية من خوف ورجاء ومحبة ونحو ذلك.

قال الإمام ابن القيم ﵀: «والمقصود: أن مصالحَ الصومِ لمَّا كانت مشهودةً بالعقول السليمةِ والفِطَرِ المستقيمة، شرعه اللهُ لعباده رحمة بهم، وإحسانًا إليهم، وحِميةً لهم وجُنَّةً»(٢).

اللهم وفِّقنا لما تحب وترضىٰ، وخذ بنواصينا للبر والتقوىٰ، وعلِّمنا ما جهِلنا، وانفعنا بما علمتنا، واجعلنا من العالِمين بفضل الصيام والعاملين بمقتضىٰ ذلك، من الإخلاص وإتقان الصيام وتكميله علىٰ الوجه الذي يرضيك.

❀❀❀

---

(١) رواه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢)، واللفظ للبخاري.

(٢) «زاد المعاد» (٢/ ٢٨).



الصِّيَامُ عَمَّا حَرَّمَ اللهُ

إن من آكد ما ينبغي علىٰ الصوَّام لزومُهُ والعنايةُ به حفظَهم لصيامهم من نواقص قدره ومذهبات أجره.

روىٰ الإمام مسلم في «صحيحه»: أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ المُفلِسَ مِن أُمَّتِي يَأتِي يَومَ القِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأتِي قَد شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا؛ فَيُعطَىٰ هَذَا مِن حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِن حَسَنَاتِهِ، فَإِن فَنِيَت حَسَنَاتُهُ قَبلَ أَن يُقضَىٰ مَا عَلَيهِ أُخِذَ مِن خَطَايَاهُم فَطُرِحَت عَلَيهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»(١).

فمع قيام هذا العبد بالصلاة والصيام والزكاة إلا أنه قد فقَدَ أجرها وخسِر ثوابها بما اقترفت جوارحه من الظلم والعدوان، وبما اكتسب لسانه من الشتم والبهتان فكان من المفلسين.

ولهذا؛ فإن مما ينبغي أن يفيده المسلم من صيامه ويجنيه من طاعته العظيمة هذه أن يعلم أن وجوب الصيام عن الطعام والشراب وسائر المفطرات محله شهر رمضان من طلوع فجره إلىٰ غروب شمسه، أما الصيام عن الحرام فمحله

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨١).

طيلة أيام السنة بل طيلة عمر الإنسان، فالمسلم يصوم في أيام شهر رمضان عما أحلَّ الله له في غيره وعمَّا حرَّم، ويصوم طيلة حياته عن الحرام، وذلك أن الصوم في اللغة: إمساكٌ وامتناع، فإمساكُ وامتناع العين واللسان والأذن واليد والرجل والفرج عما مُنِعَت عنه من الحرام هو صيام من حيث اللغة، وهو واجب علىٰ الإنسان مدة حياته وطول عمره.

والله سبحانه لما تفضَّل علىٰ عباده بهذه النعم العظيمة -العين واللسان والأذن واليد والرجل والفرج وغيرها- أوجب عليهم استعمالُها فيما يرضيه، وحرَّم عليهم استعمالها فيما يسخطه، ومن تمام شكر الله علىٰ هذه النعم استعمالها فيما أمر الله أن تُستعمل فيه، وكفُّها ومنعها عما حرَّم الله، وإمساكها عن الوقوع في معصيةِ مَن تفضَّل بها وهو الله سبحانه.

فالعين مثلًا شُرع استعمالها في النظر إلىٰ ما أحلَّ الله، ومُنع استعمالها في النظر إلىٰ الحرام كالنظر إلىٰ الأجنبيات، أو النظر إلىٰ ما تبثه كثير من الفضائيات والمرئيات من تمثيليات فاضحة وأفلام ساقطة ومناظر هابطة إلىٰ غير ذلك، وامتناعها عن هذا النظر هو صيامٌ لها، وحُكمه مستمرٌّ دائم.

والأُذن شُرع استعمالها في استماع ما أمر الله به وما أباح لها، وحُرِّم استعمالها فيما لا يجوز سماعه من لغوٍ أو لهوٍ أو غناءٍ أو كذبٍ أو غيبة أو غير ذلك مما حرَّم الله، وامتناعها عن ذلك هو صيامٌ لها، وحكمه مستمرٌّ دائم.

واليد شُرع استعمالها فيما أمر الله به، وفي تعاطي ما هو مباح، ومُنِع استعمالها فيما حرَّم الله، وامتناعها عن ذلك صيامٌ لها، وحكمه مستمرٌّ دائم.

وكذلك الفرج فقد شرع الله استعماله في الحلال، ومُنع من استعماله في الحرام كالزنا واللواط وغيرهما، وامتناعه عن ذلك صيامٌ له، وحكمه مستمرٌّ دائم.

وقد وَعَدَ الله من شكر هذه النعم واستعملها فيما يرضيه بالثواب الجزيل والأجر العظيم والخير الكثير في الدنيا والآخرة، وتَوَعَّدَ سبحانه من لم يحافظ عليها ولم يراعِ الحكمة من خلقها وما أريد استعمالها فيه بل أطلقها فيما يسخط الله ويغضبه بالعذاب والعقاب، وأخبر سبحانه أن هذه الجوارح مسئولة يوم القيامة عن صاحبها وهو مسئول عنها، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس:٦٥].

وقال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت:١٩-٢١].

وفي الحديث أن النبي ﷺ أوصىٰ معاذ بن جبل بحفظ لسانه فقال له معاذ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ ﷺ: «**ثَكِلَتكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِم** -أَو: **عَلَىٰ مَنَاخِرِهِم**- **إِلَّا حَصَائِدُ**

أَلسِنَتِهِم»[١].

وقال ﷺ: «مَن يَضمَن لِي مَا بَينَ لَحيَيهِ وَمَا بَينَ رِجلَيهِ أَضمَن لَهُ الجَنَّةَ»[٢].

ورواه الترمذي وحسَّنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: «مَن وَقَاهُ اللهُ شَرَّ مَا بَينَ لَحيَيهِ وَشَرَّ مَا بَينَ رِجلَيهِ دَخَلَ الجَنَّةَ»[٣].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «مَن كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَليَقُل خَيرًا أَو لِيَصمُت»[٤].

وفي «الصحيحين» أيضًا من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَيُّ الإِسلَامِ أَفضَلُ؟ قَالَ: «مَن سَلِمَ المُسلِمُونَ مِن لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[٥].

فهذه النصوص وما جاء في معناها قد دلَّت علىٰ أن الواجب علىٰ العبد أن يصون لسانه وفرجه وسمعه وبصره ويده ورجله عن الحرام، وهو صيام من حيث اللغة، وهذا الصيام لا يختص بوقت دون آخر، بل يجب الاستمرار عليه

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، واللفظ للترمذي، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١١٢٢).

قال العلامة عبد المحسن العباد البدر -حفظه الله-: «في هذا بيان خطر اللسان، وأنه هو الذي يوقع في المهالك، وأن ملاك الخير في حفظه، حتىٰ لا يصدر منه إلا ما هو خير». «فتح القوي المتين» (ص١٠٥).

(٢) رواه البخاري (٦٤٧٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٤٠٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٥٩٣).

(٤) رواه البخاري (٦١٣٥)، ومسلم (٤٧).

(٥) رواه البخاري (١١)، ومسلم (٤٢).

حتىٰ الممات طاعةً لله ﷻ ؛ ليفوز برضا الله وثوابه ويسلَم من سخطه وعقابه؛ فإذا أدرك المسلم أنه في شهر الصيام امتنع عما أحلَّ الله له؛ لأن الله حرَّم عليه ذلك في أيام شهر رمضان فليدرك أيضًا أن الله قد حرَّم عليه الحرام مدَّة حياته وطوال عمره، وعليه الكفُّ عما حرَّم والامتناع عنه دائمًا؛ خوفًا من عقاب الله الذي أعدَّه لمن خالف أمره وفَعَلَ ما نهىٰ عنه.

ومن حفظ لسانه عن الفحش وقول الزور، وفرجه عمَّا حرَّم الله عليه، ويده من تعاطي ما لا يحل تعاطيه، ورجله عن المشي إلَّا فيما يرضيه، وسمعه عن سماع ما يحرُم سماعه، وبصره عما حرَّم الله النظر إليه، واستعمل هذه الجوارح في طاعة الله وما أحلَّ له وحفظها وحافظ عليها حتىٰ توفاه الله؛ فإنه يفطر بعد صيامه هذا علىٰ ما أعدَّه الله لمن أطاعه من النعيم المقيم والفضل العظيم مما لا يخطر علىٰ بال ولا يحيط به مقال، وأول ما يلاقيه من ذلك: ما بيَّنه رسول الله ﷺ مما يجري للمؤمن عند الانتقال من هذه الدار إلىٰ الدار الآخرة حيث يأتيه عند الموت، وفي آخر لحظاته من الدنيا ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم كفن من الجنة وحنوط من الجنة يتقدمهم ملك الموت فيقول: «**أَيَّتُهَا النَّفسُ الطَّيِّبَةُ، اخرُجِي إِلَىٰ مَغفِرَةٍ مِن اللهِ وَرِضوَانٍ، فَتَخرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ القَطرَةُ مِن فِي السِّقَاءِ، فَيَأخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَم يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرفَةَ عَينٍ حَتَّىٰ يَأخُذُوهَا فَيَجعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الحَنُوطِ، وَيَخرُجُ مِنهَا كَأَطيَبِ نَفحَةِ مِسكٍ وُجِدَت عَلَىٰ وَجهِ الأَرضِ.**

قَالَ: فَيَصعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ يَعنِي بِهَا عَلَىٰ مَلَإٍ مِنَ المَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا

هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟! فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بنُ فُلَانٍ بِأَحسَنِ أَسمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنيَا، حَتَّىٰ يَنتَهُوا بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنيَا، فَيَستَفتِحُونَ لَهُ فَيُفتَحُ لَهُم فَيُشَيِّعُهُ مِن كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا حَتَّىٰ يُنتَهَىٰ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ.

فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: اكتُبُوا كِتَابَ عَبدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَىٰ الأَرضِ فَإِنِّي مِنهَا خَلَقتُهُم وَفِيهَا أُعِيدُهُم وَمِنهَا أُخرِجُهُم تَارَةً أُخرَىٰ.

قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَن رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُم؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنتُ بِهِ وَصَدَّقتُ.

فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَن صَدَقَ عَبدِي فَأَفرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ وَأَلبِسُوهُ مِن الجَنَّةِ وَافتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ الجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأتِيهِ مِن رَوحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفسَحُ لَهُ فِي قَبرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ.

قَالَ: وَيَأتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبشِر بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَومُكَ الَّذِي كُنتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَن أَنتَ؟! فَوَجهُكَ الوَجهُ يَجِيءُ بِالخَيرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّىٰ أَرجِعَ إِلَىٰ أَهلِي وَمَالِي»[١].

---

(١) رواه النسائي (١٨٣٣)، وابن ماجه (٢٤٦٨)، وأحمد (١٨٥٣٤)، وانظر: «أحكام الجنائز» للألباني (١٠٨).

هذا هو ثواب الصائمين عما حرم الله، الملازمين لطاعة الله، المحافظين علىٰ أوامره، المجتنبين لنواهيه، جعلنا الله وإياكم منهم، وهدانا سلوك سبيلهم.

❁❁❁

سَلَامَةُ القُلُوبِ وَالأَلسُنِ

روىٰ الحاكم وغيره، عن أبي هريرة ﵁: أن النبي ﷺ قال: «**لَيسَ الصِّيَامَ مِنَ الأَكلِ وَالشُّربِ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغوِ وَالرَّفَثِ، فَإِن سَابَّكَ أَحَدٌ، وَجَهِلَ عَلَيك فَقُل: إِنِّي صَائِمٌ**»[(١)].

وعَن يَزِيدَ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ، عَنِ الأَعرَابِيِّ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ وذكر الحديث: أن النبي ﷺ قال: «**صَومُ شَهرِ الصَّبرِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِن كُلِّ شَهرٍ؛ يُذهِبنَ وَحَرَ الصَّدرِ**»[(٢)].

إن من السمات العظيمة والصفات الكريمة الدالة علىٰ كمال إيمان الصائمين المخبتين ونُبل أخلاقهم سلامة صدورهم وألسنتهم تجاه إخوانهم المؤمنين، فليس في قلوبهم غلٌّ أو حسدٌ أو ضغينة، وليس في ألسنتهم غيبةٌ أو نميمةٌ أو كذبٌ أو وقيعة، بل لا يحملون في قلوبهم إلا المحبة والخير والرحمة والعطف والإكرام، ولا تجري علىٰ ألسنتهم إلا الكلمات النافعة والأقوال المفيدة والدعوات الصادقة، فهم في زمرة من أثنىٰ الله عليهم وزكَّاهم بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا

---

(١) رواه الحاكم في «مستدركه» (١٥٧٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٠٨٢).

(٢) رواه أحمد (٢٣٠٧٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٠٣٢).

بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

فنعتَهم ربهم بخصلتين عظيمتين وخلتين كريمتين:

إحداهما: تتعلق باللسان؛ فليس في ألسنتهم تجاه إخوانهم المؤمنين إلا النصح والدعاء ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

والخصلة الثانية: تتعلق بالقلب؛ فقلوبهم سليمة تجاه إخوانهم المؤمنين ليس فيها غل أو حسد أو حقد أو ضغينة أو نحو ذلك.

وسلامة الصدر واللسان هما من أوضح الدلائل وأصدق البراهين علىٰ تمام الصيام وكماله، وقد كان السلف -رحمهم الله- يعدُّون الأفضل فيهم أسلمهم صدرًا ولسانًا.

قال إياس بن معاوية بن قرة: «كان أفضلهم عندهم -أي: السلف- أسلَمَهم صدورًا وأقلهم غيبة»[1].

وقال سفيان بن دينار: «قلت لأبي بشير -وكان من أصحاب علي-: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا. قال: كانوا يعملون يسيرًا ويؤجرون كثيرًا. قال: قلت: ولِم ذلك؟ قال: لسلامة صدورهم»[2].

ورمضان فرصة ذهبية وهِبة إِلهيَّة لتسلَم الصدور والألسن من كل الكدورات والأدواء؛ فليست العبرة من صيامك أن تمتنع عن الطعام والشراب ويفطر

---

(١) رواه الطبراني في «مكارم الأخلاق» (٧٣).

(٢) رواه ابن السري في كتابه «الزهد» (١٢٧٥).

قلبك علىٰ الحقد والحسد والبغض لعباد الله، أو يفطر لسانك علىٰ الغيبة والنميمة والغش والكذب والسباب والشتم؛ لأن من كان هذا حاله فما استفاد من صيامه إلا الجوع والعطش، وفي الحديث: «**رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِن صِيَامِهِ الجُوعُ وَالعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِن قِيَامِهِ السَّهَرُ**»[(١)]. رواه أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ.

ولقد كان السبب الأعظم لسلامة صدور أولئك الأخيار وألسنتهم هو قوة صلتهم بالله وشدة رضاهم عنه.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «الرضا يفتح له باب السلامة؛ فيجعل قلبه سليمًا نقيًّا من الغش والدغل والغل، ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتىٰ الله بقلبٍ سليم، كذلك وتستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضا، وكلما كان العبد أشد رضًا كان قلبه أسلَم، فالخبث والدغل والغش قرين السخط، وسلامة القلب وبره ونصحه قرين الرضا، وكذلك الحسد هو من ثمرات السخط، وسلامة القلب منه من ثمرات الرضا»[(٢)].

وثمرات سلامة القلب التي هي ثمرة من ثمرات الرضا لا تُعَد ولا تُحصىٰ؛ فسلامة الصدر راحةٌ في الدنيا وأنسٌ وطمأنينة، وثوابه في الآخرة من أحسن الثواب، وغنيمته إذ ذاك أكبر غنيمة.

وفي الخبر قَالَ زَيدُ بنُ أَسلَمَ: «دُخِلَ عَلَىٰ أَبِي دُجَانَةَ ﷺ وَهُوَ مَرِيضٌ -وَكَانَ

(١) رواه أحمد (٨٨٤٢)، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١٠٨٣).
(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٠٧).

وَجهُهُ يَتَهَلَّلُ- فَقِيلَ لَهُ: مَا لِوَجهِكَ يَتَهَلَّلُ؟ فَقَالَ: مَا مِن عَمَلِي شَيءٌ أَوثَقُ عِندِي مِنَ اثنَتَينِ: كُنتُ لَا أَتكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعنِينِي، وَالأُخرَىٰ: فَكَانَ قَلبِي لِلمُسلِمِينَ سَلِيمًا»[(١)].

ومما يعين المسلم علىٰ سلامة صدره ولسانه تجاه إخوانه: اللجوءُ إلىٰ الله ﷻ وسؤالُهُ ذلك بصدق وإخلاص، والنظرُ في العواقب الحميدة والنتائج المباركة في الدنيا والآخرة المترتبة علىٰ ذلك، وكذلك النظرُ في العواقب السيئة والنتائج الوخيمة التي يجنيها ويحصِّلها من كان في قلبه غل أو حقد أو حسد أو نحو ذلك[(٢)].

---

(١) رواه ابن سعد «الطبقات الكبرىٰ» (٣/ ٥٥٧)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٠٥)، و«تاريخ الإسلام» (٣/ ٧٠).

(٢) فرمضان فرصة سانحة لتناسي الأحقاد ونبذ التهاجر، وهو مناسبة للتسامح والتناصح؛ لأنه زمن تلين فيه القلوب، وتقوىٰ الصلة فيه بعلام الغيوب.

وقد ضرب صحابي جليل مثلًا في صلته لقومه وهم يقطعونه فبشره النبيﷺ بثواب عظيم، فعن أَبِي هُرَيرَةَ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُم وَيَقطَعُونِي، وَأُحسِنُ إِلَيهِم وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحلُمُ عَنهُم وَيَجهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ: «**لَئِن كُنتَ كَمَا قُلتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيهِم مَا دُمتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**». رواه مسلم (٢٥٥٨).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **عن هذا الموقف:** «وهذا مشهد شريف جدًّا لمن عرفه وذاق حلاوته، وهو ألا يشتغل قلبه وسره بما ناله من الأذىٰ وطلب الوصول إلىٰ درك ثأره وشفاء نفسه، بل يفرغ قلبه من ذلك، ويرىٰ أن سلامته وبرده وخلوه منه أنفع له وألذ وأطيب وأعون علىٰ مصالحه، فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده وخير له منه فيكون بذلك مغبونًا، والرشيد لا يرضىٰ بذلك، ويرىٰ أنه من تصرفات السفيه، فأين سلامة القلب من امتلائه بالغل والوساوس وإعمال الفكر في إدراك الانتقام؟!». «مدارج السالكين» (٢/ ٣٢٠).

وقد ثبت عن النبي ﷺ في أدعيةٍ كثيرة أُثِرَت عنه سؤالُ الله هداية القلب وسلامته وثباته؛ كقوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ آتِ نَفسِي تَقوَاهَا وَزَكِّهَا أَنتَ خَيرُ مَن زَكَّاهَا**»[(١)].

وقوله: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن قَلبٍ لَا يَخشَعُ**»[(٢)].

وقوله: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّت قَلبِي عَلَىٰ دِينِكَ**»[(٣)].

وقوله: «**اللَّهُمَّ اجعَل لِي فِي قَلبِي نُورًا**»[(٤)].

ألا فلنغتنم هذا الشهر المبارك لعلاج أمراض القلوب والألسن ولنحرص كل الحرص علىٰ طهارتها وسلامتها؛ لأن بسلامتها تسلم للمرء نفسه ودينه ودنياه، وبفسادها يفسد الدين والدنيا، ولقد علَّمنا رسولنا ﷺ دعاءً عظيمًا يقوله المسلم في صباحه ومسائه وإذا أوىٰ إلىٰ فراشه، يستعيذ فيه المرء بالله من مصدري الشر اللذين يصدر عنهما، ومن الغايتين اللتين يؤدي إليهما أحد هذين المصدرين أو كلاهما؛ روىٰ الترمذي وأبو داود، من حديث أبي هريرة ﷺ: أَنَّ أَبَا بَكرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مُرنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصبَحتُ وَإِذَا أَمسَيتُ؟ قَالَ: «**قُل اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ، عَالِمَ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ نَفسِي وَشَرِّ الشَّيطَانِ**

---

(١) رواه مسلم (٢٧٢٢)، والنسائي (٥٤٦٠)، وأحمد (١٩٢٠٤).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٨٢)، والنسائي (٥٤٦٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١٧٧).

(٣) رواه الترمذي (٢١٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٩٣٢).

(٤) رواه البخاري (٦٣١٦)، و مسلم (٧٦٣).

وَشِركِهِ»، قَالَ: «**قُلْهَا إِذَا أَصبَحتَ وَإِذَا أَمسَيتَ وَإِذَا أَخَذتَ مَضجَعَكَ**»[(١)].

وفي رواية أخرىٰ: «**وَأَن أَقتَرِفَ عَلَىٰ نَفسِي سُوءًا أَو أَجُرَّهُ إِلَىٰ مُسلِمٍ**»[(٢)].

فتضمن هذا الحديث العظيم الاستعاذة بالله من الشر وأسبابه وغايته؛ فإن الشر كله إما أن يصدر من النفس أو من الشيطان، فاستعاذ بالله منهما في قوله: «**أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ نَفسِي وَشَرِّ الشَّيطَانِ وَشِركِهِ**»، وغاية الشر إما أن تعود علىٰ العامل نفسه أو علىٰ أخيه المسلم فاستعاذ بالله من ذلك بقوله: «**وَأَن أَقتَرِفَ عَلَىٰ نَفسِي سُوءًا أَو أَجُرَّهُ إِلَىٰ مُسلِمٍ**»، فلله ما أكمله من دعاء وما أعظم مقاصده وأروع دلالاته، وما أجمل أن يوظفه الصائم في أذكار صباحه ومسائه وعند نومه في هذا الشهر المبارك وفي سائر أيام عمره.

اللهم إنا نسألك قلوبًا خاشعة، وألسنًا ذاكرة، ونفوسًا طائعةً مطمئنة، ونعوذ بك اللهم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ونعوذ بك من شر الشيطان وشركه، وأن نقترف علىٰ أنفسنا سوءًا أو نجرَّه إلىٰ أحد من المسلمين.

❊❊❊

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٩) ، وأبو داود (٥٠٦٧)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٧٠١).

(٢) رواها الترمذي (٣٥٢٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

حِفظُ الوَقتِ فِي رَمَضَان

إن وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم أو العذاب الأليم، وهو يمر مر السحاب، لم يزل الليل والنهار سريعين في نقص الأعمار، وتقريب الآجال، صحبا قبلنا نوحًا وعادًا وثمود وقرونًا بين ذلك كثيرًا، فأقدم الجميع علىٰ ربهم ووردوا علىٰ أعمالهم وتصرمت أعمارهم، وبقي الليل والنهار غَضَّين جديدين في أمم بعدهم، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان:٦٢].

فينبغي علىٰ المسلم لاسيما في هذا الشهر المبارك والموسم العظيم والوقت الثمين أن يتخذ من مرور الليالي والأيام عبرة وعظة، فكم من رمضان تحريناه فدخل ومضىٰ سريعًا، فالليل والنهار يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويطويان الأعمار، ويشبان الصغار، ويفنيان الكبار، وهذا كله مشعر بتولي الدنيا وإدبارها ومجيء الآخرة وإقبالها.

قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «ارتَحَلَت الدُّنيَا مُدبِرَةً، وَارتَحَلَت الآخِرَةُ مُقبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنهُمَا بَنُونَ؛ فَكُونُوا مِن أَبنَاءِ الآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِن أَبنَاءِ الدُّنيَا، فَإِنَّ اليومَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ»[١].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» معلقًا في كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله.

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الدُّنيَا لَيسَت بِدَارِ قَرَارِكُم، دَارٌ كَتَبَ اللهُ عَلَيهَا الفَنَاءَ، وَكَتَبَ عَلَىٰ أَهلِهَا مِنهَا الظَّعن -أي: الارتحال-، فَكَم عَامِرٍ موثق عَمَّا قَلِيلٍ يَخرَبُ، وَكَم مُقِيمٍ مُغتَبطٍ عَمَّا قَلِيل يَظعَن، فَأَحسِنُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ- مِنهَا الرِّحلَةَ بَأَحسَنِ مَا بِحَضرَتِكُم مِنَ النُّقلَةِ، وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقوَىٰ»[1].

إن الإنسان في هدمٍ لعمره منذ خرج من بطن أمه بل هو -كما قال الحسن البصري- أيام مجموعة؛ فكلما ذهب يوم ذهب بعض الإنسان وجزء منه، اليوم منه يهدم الشهر، والشهر يهدم السنة، والسنة تهدم العمر، وكل ساعة تمضي من العبد فهي مُدنِيَةٌ له من الأجل.

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما ندمتُ علىٰ شيء ندمي علىٰ يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزدد فيه عملي». وهذا من شدة حرصه علىٰ الوقت.

قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «أدركت أقوامًا كانوا علىٰ أوقاتهم أشد منكم حرصًا علىٰ دراهمكم ودنانيركم»[2].

ولهذا قيل: «مَن أَمضَىٰ يَومَهُ فِي غَيرِ حَقٍّ قَضَاهُ، أَو فَرضٍ أَدَّاهُ، أَو مَجدٍ أَثَّلَهُ أَو حَمدٍ حَصَّلَهُ، أَو خَيرٍ أَسَّسَهُ أَو عِلمٍ اقتَبَسَهُ، فَقَد عَقَّ يَومَهُ وَظَلَمَ نَفسَهُ» وظلم يومه[3].

«إن الليالي والأيام هي رأس مال الإنسان في هذه الحياة؛ رِبحها الجنة،

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٩٢).

(٢) انظر: «مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار» (٣/ ٢٩).

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص٥٧).

وخسرانها النار، السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمارها؛ فمن كانت أنفاسه في طاعة الله فثمرته طيبة مباركة حلوٌ مذاقها، ومن كانت أنفاسه في معصية الله فثمرته خبيثة مذاقها مرٌّ وحنظل»(١).

لقد تكاثرت النصوص عن النبي ﷺ في بيان أهمية الوقت والحث علىٰ اغتنامه وعدم إضاعته، وبيان أن العبد مسئول عنه يوم القيامة.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**اغتَنِم خَمسًا قَبلَ خَمسٍ: شَبَابَكَ قَبلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبلَ فَقرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبلَ شُغلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبلَ مَوتِكَ**»(٢).

عَنِ ابنِ مَسعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَزُولُ قَدَمَا ابنِ آدَمَ يَومَ القِيَامَةِ مِن عِندِ رَبِّهِ حَتَّىٰ يُسأَلَ عَن خَمسٍ: عَن عُمرِهِ فِيمَا أَفنَاهُ، وَعَن شَبَابِهِ فِيمَا أَبلاَهُ، وَمَالِهِ مِن أَينَ اكتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**»(٣).

وثبت في «الصحيح» عنه ﷺ أنه قال: «**نِعمَتَانِ مَغبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**»(٤).

فلنغتنم في هذا الشهر المبارك والموسم العظيم كل ما يمكننا اغتنامه من

---

(١) قاله الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه «الفوائد» (ص ١٦٤).

(٢) رواه الحاكم في «مستدركه» (٧٨٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٧٧).

(٣) رواه الترمذي (٢٤١٦)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٦٤).

(٤) رواه البخاري (٦٤١٢).

الطاعات ولنسخره في الإقبال علىٰ الله، ولنغتنم حياتنا كلها قبل أن يباغتنا الموت، وليغتنم الأصِحَّاء الذين عافاهم الله من الأمراض والأدواء عافيتهم وصحتهم قبل أن يبتليهم الله بأمراض تعوقهم وتضعف نشاطهم، وليغتنم الذين حباهم الله بنعمة الوقت والفراغ وقتهم وفراغهم قبل أن تداهمهم الأشغال والهموم والصوارف، وليغتنم الشباب شبابهم وقوتهم قبل أن يصيبهم داء الكبر والهرم الذي هو مظنة الضعف والفتور والعاهات والأمراض، وليغتنم الأغنياء الذين وسَّع الله لهم في أرزاقهم ونالوا حظًّا من هذه الأموال التي هي من حُطام الدنيا الفانية أموالهم قبل أن ينزل عليهم الفقر وتُلِمَّ بهم الحاجات.

وليغتنم كل أولئك وهؤلاء هذا الموسم العظيم؛ ليزدادوا فيه قربًا من الله، ويتعرضوا فيه لنفحاته وبركاته ورحماته بتوبةٍ نصوح، وإكثارٍ من فعل الخيرات، وإحجامٍ عن اقتراف القبائح والمنهيات.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما من هذه المواسم الفاضلة موسم إلا ولله تعالىٰ فيه وظيفة من وظائف طاعته يُتقرب بها إليه، ولله لطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يشاء بفضله ورحمته عليه، فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات، وتقرب فيها إلىٰ مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسىٰ أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات»[١].

ومن ضيَّع فراغه في مثل هذا الموسم العظيم ولم ينتفع من صحته في مثل

(١) «لطائف المعارف» (ص ٦).

هذا الشهر الكريم فمتىٰ عساه أن ينتفع ويستقيم!!

قال الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن استَعمَلَ فَرَاغه وَصِحَّته فِي طَاعَة الله فَهُوَ المَغبُوط، وَمَن استَعمَلَهُمَا فِي مَعصِيَة الله فَهُوَ المَغبُون؛ لِأَنَّ الفَرَاغ يَعقُبهُ الشُّغل، وَالصِّحَّة يَعقُبهَا السَّقَم»[(١)].

ومما يؤثر عن بعض السلف قولهم: «من علامة المقت إضاعة الوقت».

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها»[(٢)].

والواجب علىٰ المسلم ألا يغتر بالدنيا؛ فإن صحيحها يسقم، وجديدها يبلىٰ، ونعيمها يفنىٰ، وشبابها يهرم، وهو فيها في سير إلىٰ الدار الآخرة، الآجال منقوصة، والأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة؛ فمن زرع خيرًا فيوشك أن يحصد ثوابه وأجره، ومن زرع شرًّا فيوشك أن يحصد ندامة وحسرة، ولكل زارعٍ ما زرع.

اللهم بارك لنا في أوقاتنا وأعمارنا وأعمالنا، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا، ووفِّقنا لاغتنام الأوقات في الباقيات الصالحات، وحبب لنا فعل الخيرات وبُغض المنكرات، واجعلنا ممن صام هذا الشهر صيامًا يكون سببًا لنيل رضاك والفوز بجنانك.

---

(١) نقله الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح الباري» (١١ / ٢٣٠).

(٢) «الفوائد» (ص ٤٤).



أَهَمِيَّةُ ذِكرِ الله[(١)]

إن ذكر الله -جلَّ وعلا- هو أزكىٰ الأعمال وخيرها وأفضلها عند الله -تبارك وتعالىٰ-.

ففي «المسند» للإمام أحمد، و«جامع» الترمذي، و«سنن» ابن ماجه، و«مستدرك» الحاكم وغيرها، من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَلَا أُنَبِّئُكُم بِخَيرِ أَعمَالِكُم، وَأَزكَاهَا عِندَ مَلِيكِكُم، وَأَرفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُم، وَخَيرٌ لَكُم مِن إِنفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيرٌ لَكُم مِن أَن تَلقَوا عَدُوَّكُم فَتَضرِبُوا أَعنَاقَهُم وَيَضرِبُوا أَعنَاقَكُم؟» قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: ذِكرُ اللهِ تَعَالَىٰ»**[(٢)].

فهذا الحديث العظيم أفاد أفضلية الذكر، وأنه يعدل عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل علىٰ الخيل في سبيل الله ﷻ، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله تعالىٰ.

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: «وقد تكاثرت النصوص بتفضيل الذِّكر علىٰ

---

(١) من أراد التوسع في هذا الموضوع المهم فليرجع لكتاب شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر -حفظه الله- «فقه الأدعية والأذكار» (١/ ١٣).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٧٧)، و ابن ماجه (٣٧٩٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٢٩).

الصدقة بالمال وغيره من الأعمال»[١].

ثم أورد حديث أبي الدرداء المتقدم، وجملة من الأحاديث الأخرىٰ الدالة علىٰ المعنىٰ نفسه.

وقد روىٰ الإمام ابن أبي الدنيا بإسناده حسن، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد قال: قيل لأبي الدرداء: إنَّ رجلًا أعتق مائة نسمة، قال: «إنَّ مائة نسمة من مال رجل كثيرٌ، وأفضلُ من ذلك إيمانٌ ملزومٌ بالليل والنهار، وألا يزال لسان أحدكم رطبًا من ذكر الله»[٢].

فبيَّن رضي الله عنه فضل عتق الرقاب، وأنه مع عظم فضله لا يعدل ملازمة الذكر والمداومة عليه، وورد بيان تفضيل الذكر علىٰ غيره من الأعمال عن غير واحد من الصحابة والتابعين كعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص، أورد بعض هذه الأقوال الإمام ابن رجب رحمه الله في كتابه «جامع العلوم والحكم».

وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ فَقَالَ: أَيُّ المُجَاهِدِينَ أَعظَمُ أَجرًا يَا رَسُولُ الله؟ قَالَ: «**أَكثَرُهُم لِلَّهِ تَعَالَىٰ ذِكرًا**». قَالَ: فَأَيُّ الصَّائِمِينَ أَعظَمُ أَجرًا؟ قَالَ: «**أَكثَرُهُم لِلَّهِ ذِكرًا**»، ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالحَجَّ وَالصَّدَقَةَ كُلُّ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَكثَرُهُم لِلَّهِ ذِكرًا**».

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٦٦).

(٢) «الترغيب والترهيب» (٢٢٩٣)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب» (٨٩٦).

فَقَالَ أَبُو بَكرٍ ﷺ لِعُمَرَ ﷺ: ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ بِكُلِّ خَيرٍ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَجَل»[(١)].

وهذا الشهر الكريم هو شهر الذكر والثناء علىٰ الله رب العالمين، بل ما شُرع الصيام ولا صام الصائمون إلا لإقامة ذكر الله، ولذلك أخبر النبي ﷺ كما تقدم -أن أعلىٰ الناس درجة وأعظمهم أجرًا حين اشتراكهم في قيامهم بطاعة من الطاعات أو قربة من القربات لرب الأرض والسموات أكثرُهم لله ذكرًا؛ فدلَّ ذلك علىٰ أهمية الذكر وأنه هو الغاية المقصودة من القيام بجميع الطاعات والعبادات، فأكثر الصائمين أجرًا أكثرهم لله ذكرًا.

وذِكر الله أكبر من كل شيء وأفضل كل شيء، قال تعالىٰ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

أي: ذِكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم أكبر من ذكركم له في عباداتكم وصلواتكم، وهو ذاكرٌ من ذكَره، قال معناه ابن مسعود وابن عباس وأبو الدرداء وأبو قرَّة وسلمان والحسن وهو اختيار الطبري، وقيل: ذكركم الله في صلاتكم وفي قراءة القرآن أفضل من كلِّ شيء، وقيل المعنىٰ: إن ذكر الله أكبر مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر.

---

(١) رواه أحمد (١٥٥٥٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٨٨٧)، واللفظ له، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب» (٩٠٦).

قال ابن زيد وقتادة: «ولذكر الله أكبر من كلِّ شيء؛ أي: أفضل من العبادات كلها بغير ذكر»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَي: ذِكرُ اللهِ الَّذِي فِي الصَّلَاةِ أَكبَرُ مِن كَونِهَا تَنهَىٰ عَن الفَحشَاءِ وَالمُنكَرِ؛ وَلَيسَ المُرَادُ أَنَّ ذِكرَ اللهِ خَارِجَ الصَّلَاةِ أَفضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ وَمَا فِيهَا مِن ذِكرِ اللهِ»[(٢)].

وقد سئل سلمان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أيُّ الأعمال أفضل؟ فقال: أما تقرأ القرآن ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾»[(٣)].

وذكر الإمام ابن أبي الدنيا، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّه سُئل: أي العمل أفضل؟ قال: «ذكر الله أكبر»[(٤)].

وقد أمر الله في كتابه عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره قيامًا وقعودًا وعلىٰ الجنوب، بالليل والنهار، وفي البر والبحر، وفي السفر والحضر، وفي الغنىٰ والفقر، وفي الصحة والسقم، وفي السر والعلن، وفي كل حال، ورتب لهم علىٰ ذلك جزيل الأجر وعظيم الثواب وجميل المآب.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ٣٤٩).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٣٢/ ٢٣٢).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٣).

(٤) انظر: «الوابل الصيب» (ص١٥١).

وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٤].

ففي هذه الآية الحث علىٰ الإكثار من ذكر الله تعالىٰ، وبيان ما يترتب علىٰ ذلك من أجر عظيم وخير عميم، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ فيه أعظم الترغيب في الإكثار من ذكر الله وأحسن حضٍّ علىٰ ذلك؛ أي: أنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم.

ونظائر هذه الآية في القرآن كثيرة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥١-١٥٢].

فالجزاء من جنس العمل؛ فمن ذكر الله في نفسه ذكره الله في نفسه، ومن ذكر الله في ملأٍ ذكره الله في ملأٍ خير منهم، ومن نسي الله نسيه الله.

والذاكرون الله كثيرًا والذاكرات هم المفرِّدون السابقون إلىٰ الخيرات المحظوظون بأرفع الدرجات وأعلىٰ المقامات.

روىٰ مسلم في «صحيحه»، عن أبي هريرة ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَىٰ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمدَانُ فَقَالَ: «**سِيرُوا هَذَا جُمدَانُ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**»، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَات**»[1].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٦).

ولكن بِمَ ينال العبد ذلك؟

وهذا سؤال عظيم يجدر بكل مسلم أن يقف عنده ويعرف جوابه، ومن أحسن ما روي عن السلف في معنىٰ الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات:

ما جاء عن ابن عباس ﭬ أنه قال: «المراد: يذكرون الله في أدبار الصلوات، وغدوًّا وعشيًّا، وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالىٰ»(١).

وفي هذا المعنىٰ قول الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأقل ذلك أن يلازم الإنسان أوراد الصباح والمساء وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب، وينبغي مداومة ذلك في جميع الأوقات علىٰ جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل، وهو مستريح، وداعٍ إلىٰ محبة الله ومعرفته، وعون علىٰ الخير وكف اللسان عن الكلام القبيح»(٢).

وأسأل الله سبحانه بأسمائه الحسنىٰ أن يجعلني وإياكم من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، من الذين أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا، إنه علىٰ ذلك قدير وبالإجابة جدير.

❀❀❀

---

(١) «الأذكار» (ص ١٠).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ٦٦٧).



فَوَائِدُ الذِّكْرِ وَعَوَائِدُه

لقد تقدم معنا بيانُ أن ذكر الله هو أجل الأعمال وأفضلها، وأن العمل الذي يقوم به العبد كلما كان ذكره لله فيه أكثر كان أجره فيه أكثر.

وذلك لما رواه الإمام أحمد والطبراني، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ فَقَالَ: أَيُّ الْمُجَاهِدِينَ أَعظَمُ أَجرًا يَا رَسُولُ الله؟ قَالَ: «**أَكثَرُهُم لِلَّهِ تَعَالَىٰ ذِكرًا**». قَالَ: فَأَيُّ الصَّائِمِينَ أَعظَمُ أَجرًا؟ قَالَ: «**أَكثَرُهُم لِلَّهِ ذِكرًا**»، ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالحَجَّ وَالصَّدَقَةَ كُلُّ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَكثَرُهُم لِلَّهِ ذِكرًا**»، فَقَالَ أَبُو بَكرٍ رضي الله عنه لِعُمَرَ رضي الله عنه: ذَهَبَ الذَّاكِرُونَ بِكُلِّ خَيرٍ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَجَل**»[(١)].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «إن أفضل أهل كلِّ عملٍ أكثرهم فيه ذكرًا لله عز وجل؛ فأفضلُ الصوَّام أكثرهم ذكرًا لله عز وجل في صومهم، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكرًا لله عز وجل، وأفضل الحجاج أكثرهم ذكرًا لله عز وجل، وهكذا سائر الأعمال»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (١٥٥٥٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٨٨٧)، واللفظ له، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب» (٩٠٦).

(٢) «الوابل الصيب» (ص١٥٢).

والله سبحانه لا يأمر بالإكثار من شيء إلا لأهميته وعظيم قدره وكثرة عوائده وفوائده التي يحصِّلها العبد الذاكر، والذكر له فوائدُ لا تحصىٰ وثمراتٌ وعوائدُ لا تستقصىٰ، ولعل من المناسب في هذا المقام تذكير الصائمين بشيء من فوائد الذكر:

فمنها: أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١].

وثبت في وصية يحيىٰ بن زكريا عليه السلام لبني إسرائيل كما في الحديث الطويل الذي أمرهم فيه أولًا بالتوحيد، ثم بالصلاة والصيام والصدقة، ثم قال: **«وَآمُرُكُم أَن تَذكُرُوا اللهَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ عَلَىٰ حِصنٍ حَصِينٍ فَأَحرَزَ نَفسَهُ مِنهُم؛ كَذَلِكَ العَبدُ لَا يُحرِزُ نَفسَهُ مِن الشَّيطَانِ إِلَّا بِذِكرِ اللهِ»**(١).

ومن فوائده: أنه يجلب لقلب الذاكر الفرح والسرور والراحة والطمأنينةَ، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وحقيق بقلوب المؤمنين وحري بها ألا تطمئن ولا ترتاح إلا بذكر الله لا بشيء

(١) رواه الترمذي (٢٨٦٣)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٢٤).

سواه، والذكر هو حياة القلب وقوته فلا تحيا القلوب ولا تتغذىٰ إلا به.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء»(١).

ومن فوائده: أن صاحبه يحظىٰ بذكر الله له، قال تعالىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه -تبارك وتعالىٰ-: **«فَإِن ذَكَرَنِي فِي نَفسِهِ ذَكَرتُهُ فِي نَفسِي، وَإِن ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرتُهُ فِي مَلَإٍ خَيرٍ مِنهُ»**(٢).

ومن فوائد الذِّكر: أنه يحط الخطايا ويذهبها، وينجي الذاكر من عذاب الله، ففي «المسند»، عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنجَىٰ لَهُ مِن عَذَابِ اللهِ مِن ذِكرِ اللهِ»**(٣).

ومن فوائده: أنه يترتب عليه من العطاء والثواب والفضل ما لا يترتب علىٰ غيره من الأعمال، مع أنه أيسر العبادات، ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: **«مَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ وَلَهُ الحَمدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، فِي يَومٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَت لَهُ عَدلَ عَشرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَت لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَت عَنهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَت لَهُ حِرزًا مِنَ الشَّيطَانِ يَومَهُ**

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٨٥)، ونقله الإمام ابن القيم عنه في «الوابل الصيب» (ص ٨٥).

(٢) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٣) رواه أحمد (٢١٩٧٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٤٤).

ذَلِكَ حَتَّىٰ يُمسِيَ، وَلَم يَأتِ أَحَدٌ بِأَفضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكثَرَ مِن ذَلِكَ»(١).

وهذا مثالٌ واحد لما يترتب علىٰ الذكر من العطاء والثواب.

ومن فوائد الذكر: أنه غراس الجنة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقِيتُ إِبرَاهِيمَ لَيلَةَ أُسرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقرِئ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخبِرهُم: أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّربَةِ عَذبَةُ المَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبحَانَ اللهِ، وَالحَمدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكبَرُ»(٢).

ومن فوائده: أنه نور لصاحبه يسعىٰ به في الدنيا، ويضيء له قبره، ويضيء أمامه علىٰ الصراط يوم القيامة؛ ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ﴾ [النور:٣٥-٣٧].

وقال سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾ [الأنعام:١٢٢].

فالمؤمن يستنير بالإيمان بالله وبمحبته وذكره، والغافل عن ذلك في ظلمات بعضها فوق بعض، فالفلاح كل الفلاح في الحصول علىٰ هذا النور، والشقاء

(١) رواه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٦٢)، وحسنه الألباني بما له من الشواهد في «السلسلة الصحيحة» (١٠٥).

كلُّ الشقاء في فواته وحرمانه، ولهذا كان النبي ﷺ يكثِر من سؤال الله -تبارك وتعالىٰ- هذا النور بأن يجعله في جميع أعضائه وذرَّاته الظاهرة والباطنة، وأن يجعله محيطًا به من جميع جهاته.

ومن فوائد الذكر: أنه يوجب صلاة الله وملائكته علىٰ الذاكر، وهذا هو الفلاح والظفر بعينه، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

ومن فوائده: أنه شفاءٌ للقلب وأمانٌ من النفاق، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩].

وقال عن المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وقد سُئل عن أهل الجمل: أمنافقون هم؟ فقال: «المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلًا»(١).

وقال مكحول بن عبد الله رحمه الله: «إن ذكر الله شفاء، وإن ذكر الناس داء»(٢).

ومن فوائد الذكر: أن إدامته تنوب عن الطاعات وتقوم مقامها سواءٌ كانت بدنية أو مالية، أو مالية بدنية كحج التطوع.

---

(١) رواه البيهقي في «سنن الكبرىٰ» (١٦٤٩٩).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧١٧).

وقد جاء ذلك صريحًا فيما رواه الشيخان، عن أبي هريرة ﷺ في حديث شكوىٰ الفقراء للنبيﷺ: أن أهل الدثور قد ذهبوا بالأجور، فقال لهم النبيﷺ: «**أَفَلَا أُعَلِّمُكُم شَيئًا تُدرِكُونَ بِهِ مَن سَبَقَكُم وَتَسبِقُونَ بِهِ مَن بَعدَكُم، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفضَلَ مِنكُم إِلَّا مَن صَنَعَ مِثلَ مَا صَنَعتُم؟**» قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً**»(١).

فجعل الذكر عوضًا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وفي حديث عبد الله بن بُسر: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسلَامِ قَد كَثُرَت عَلَيَّ فَأَخبِرنِي بِشَيءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ؟ قَالَ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطبًا مِن ذِكرِ اللهِ**»(٢).

فدله ﷺ وهو الناصح علىٰ ما يتمكن به من شعائر الإسلام إذا أحبه وتعلق به.

فهذا غيضٌ من فيض، وقليلٌ من كثير؛ من عوائد الذكر المباركة، وثماره اليانعة، ونتائجه العظيمة(٣)؛ فحري بعباد الله المؤمنين أن يكثروا من ذكر الله لينالوا هذه الأجور العظيمة، والأفضال الكريمة، والثمار المباركة، ولاسيما

---

(١) رواه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥)، واللفظ له.

(٢) رواه الترمذي (٣٣٧٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٤٩١).

(٣) **قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر -حفظه الله-**: «ومن أحسن من رأيته تكلم في هذا الموضوع وجمع أطرافه ولم أشتاته الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العظيم «الوابل الصيب من الكلم الطيب» وهو مطبوع طبعات كثيرة، ومتداول بين أهل العلم وطلابه، فقد قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه المذكور (ص٨٤): وفي الذكر أكثر من مائة فائدة...». «فقه الأدعية والأذكار» (١/ ١٤).

ونحن نعيش هذا الشهر الكريم والموسم العظيم شهر الذكر والقرآن وموسم الطاعة والإحسان.

ونسأل الله الكريم أن ينير قلوبنا بذكره، وأن يستعمل أوقاتنا في طاعته، وأن يجعل ألسنتنا دائمًا رطبةً بذكره وشكره وحُسن عبادته.

❀❀❀

فَضلُ القُرآنِ الكَرِيمِ وَمَكَانَتُهُ

إن شهر رمضان المبارك هو شهر القرآن فيه نزل، قال تعالىٰ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥].

وهو شهر الذكر، وخير ما ينبغي للعبد أن يذكر الله به في هذا الشهر الكريم هو كلامه -تبارك وتعالىٰ- الذي هو خير الكلام وأحسنه وأصدقه وأنفعه، وهو وحي الله وتنزيله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو أفضل كتاب أنزله الله -تبارك وتعالىٰ- علىٰ أفضل رسول، علىٰ عبده ومصطفاه وخيرته من خلقه محمد بن عبد الله ﷺ، وكم هو جميل بنا أن نستشعر فضل القرآن وفضله وعظم مكانته، لا سيما ونحن في الشهر الذي فيه أنزل.

يقول الله تعالىٰ في بيان شرف القرآن الكريم وفضله: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في هذا اعتناء كبير لشرف الرسول -صلوات الله وسلامه عليه-، حيث كان يأتيه الوحي من الله بالقرآن صباحًا ومساءً، ليلًا ونهارًا، سفرًا وحضرًا، فكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن كإنزال كتاب مما قبله

من الكتب المتقدمة، فهذا المقام أعلىٰ وأجلُّ وأعظم مكانة من سائر إخوانه من الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-.

فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله، ومحمد -صلوات لله وسلامه عليه-، أعظم نبي أرسله الله»(١).

إن فضل القرآن الكريم وشرفه ورفيع قدره وعلو مكانته أمرٌ لا يخفىٰ علىٰ المسلمين، فهو كتاب الله رب العالمين، وكلام خالق الخلق أجمعين، فيه نبأُ ما قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحُكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغىٰ الهدىٰ في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخلَقُ علىٰ كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلىٰ صراط مستقيم(٢).

وقدرُ القرآن وفضله هو بقدر الموصوف به وفضله، فالقرآن كلام الله وصفته، وكما أنه -تبارك وتعالىٰ- لا سميَّ له ولا شبيه في أسمائه وصفاته فلا سميَّ له ولا شبيه له في كلامه، فله -تبارك وتعالىٰ- الكمال المطلق في ذاته

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ١٠٩).

(٢) **قال الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقصارىٰ هذا الحديث أنما يكون من كلام أمير المؤمنين علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح، علىٰ أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ». «فضائل القرآن» (ص١٥).

وأسمائه وصفاته، لا يشبهه شيء من خلقه، ولا يشبه هو -تبارك وتعالىٰ- شيئًا من خلقه، تعالىٰ وتقدَّس عن الشبيه والنظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

والفرق بين كلام الله وكلام المخلوقين هو كالفرق بين الخالق والمخلوقين.

قال أبو عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فضل القرآن علىٰ سائر الكلام كفضل الرب علىٰ خلقه، وذاك أنه منه»(١).

وقد روي هذا اللفظ مرفوعًا إلىٰ النبيﷺ، إلا أن رفعه لا يثبت كما أوضح ذلك الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «خلق أفعال العباد»، وغيره من أئمة العلم(٢).

وأما معناه فحق لا ريب فيه، ولا ريب في حُسنه وقوته واستقامته وجمال مدلوله، وقد استشهد أهل العلم لصحة معناه بنصوص عديدة، بل إن الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ جعله عنوانًا لأحد تراجم أبواب كتاب (فضائل القرآن) من «صحيحه»، فقال في الباب السابع عشر منه: «باب فضل القرآن علىٰ سائر الكلام».

والواجب علينا معاشر المؤمنين: أن نعظم القرآن الكريم الذي هو كلام ربنا ومصدر عزنا وسبيل سعادتنا، ونحفظ له منزلته ومكانته، ونقدره حق قدره،

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢١٣٧).

(٢) انظر: «السلسلة الضعيفة» (١٣٣٤).

ونحسن فهمه، ونعمل به.

يقول ابن مسعود ﷺ: «من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله ﷻ فليعرض نفسه علىٰ القرآن؛ فإن أحب القرآن فهو يحب الله ﷻ ، فإنما القرآن كلام الله ﷻ »[١].

ويقول ﷺ: «القرآن كلام الله ﷻ ، فمن رد منه شيئًا فإنما يرد علىٰ الله ﷻ »[٢].

هذا وقد كان للسلف -رحمهم الله- عنايةٌ فائقة واهتمامٌ بالغ بالقرآن العظيم في شهر القرآن -شهر رمضان المبارك-، وأسوتهم في ذلك رسول الله ﷺ الذي كان يلقاه جبريل كل ليلة من رمضان يدارسه القرآن.

عن ابن عباس ﷺ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلقَاهُ جِبرِيلُ، وَكَانَ يَلقَاهُ فِي كُلِّ لَيلَةٍ مِن رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجوَدُ بِالخَيرِ مِن الرِّيحِ المُرسَلَةِ»[٣].

وقد كان ﷺ يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره، وهذا أمرٌ يُشرع لكل من أراد أن يزيد في القراءة ويطيل، وكان يصلي لنفسه فليطوِّل ما شاء، وكذلك من صلىٰ بجماعة يرضون بصلاته، أما ما سوىٰ ذلك فالمشروع التخفيف.

---

(١) «السنة» لعبد الله بن أحمد (١٢٥).

(٢) «السنة» لعبد الله بن أحمد (١١٩).

(٣) رواه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨)، واللفظ للبخاري.

قال الإمام أحمد لبعض أصحابه وكان يصلي بهم في رمضان: «إن هؤلاء قوم ضَعفَىٰ اقرأ خمسًا ستًّا سبعًا، قال: فقرأتُ فختمتُ في ليلةَ سبع وعشرين»[1].

فأرشده رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أن يراعي حال المأمومين فلا يشقَّ عليهم.

وكان السلف -رحمهم الله- يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها:

فكان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين في رمضان.

وكان النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث.

وكان قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يختم في كلِّ سبعٍ دائمًا، وفي رمضان في كلِّ ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة.

وكان الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا دخل رمضان قال: «فإنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام».

وكان مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا دخل رمضان يفرُّ من قراءة الحديث ومجالسةِ أهل العلم ويقبِل علىٰ تلاوة القرآن من المصحف.

وكان قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدرس القرآن في شهر رمضان.

---

(١) ذكره الإمام ابن رجب في «لطائف المعارف» (ص١٨٠).

وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل علىٰ تلاوة القرآن.

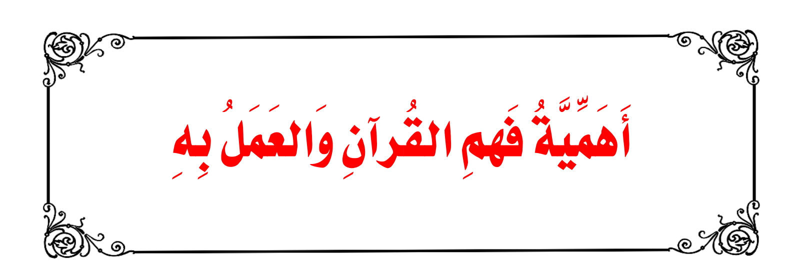
والآثار عنهم في هذا المعنىٰ كثيرة[١].

رزقنا الله وإيَّاكم حُسن اتباعهم والسير علىٰ آثارهم، ونسأله -تبارك وتعالىٰ- بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا أن يعمُر قلوبنا بحب القرآن وتعظيمه وتوقيره والعمل به، وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته.

۞۞۞

---

(١) «لطائف المعارف» (ص١٨١).



أَهَمِّيَّةُ فَهمِ القُرآنِ وَالعَمَلُ بِهِ

قال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقال تعالىٰ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩].

إن تلاوة القرآن وتدبره هي أعظم أبواب الهداية؛ لأنه يهدي للتي هي أقوم، ويدل ويقود إلىٰ فعل الصالحات وترك المنكرات، ويملأ القلب إيمانًا ومعرفة بالله، ويرغِّب في الفوز والظفر بدار الكرامة، ويخوِّف ويحذِّر من الخسارة والحرمان في دار الخزي والندامة، وهو مشتمل علىٰ كثير من العِبر والأمثال التي يضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون، والتالي للقرآن بتدبر وتعقل يدفعه ذلك للاستجابة لأمر الله ورسوله ﷺ فيُعَظِّم الله ويُوَحِّده ويؤدِّي صلاته وزكاته ويحج فرضه ويصوم شهره إضافة إلىٰ مسابقته ومنافسته بالنوافل والقربات يرجو رحمة الله ورضوانه.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩][(١)].

---

(١) للعلامة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ كلام نافع ماتع في تفسيره لهذه الآية، قال رَحِمَهُ اللَّهُ:
=

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٢٩-٣٠].

وتلاوة القرآن وتدبره والعمل به هو ديدن المؤمنين، ووصف أولياء الله الصالحين، وسبب هداية الله لعباده المقربين، وترك تدبره والعمل به هو وصف العصاة المعرضين، وسبب ضلال الضالين والمستكبرين؛ قال تعالىٰ منكرًا عليهم ذلك: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[محمد:٢٤].

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٦٦-٦٨].

أي: أنهم لو تدبروا القرآن لأوجب لهم الإيمان ولَمَنَعَهم من الكفر والعصيان،

=

«وهذه الآية الكريمة أجمل الله -جلَّ وعلا- فيها جميع ما في القرآن من الهدىٰ إلىٰ خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها علىٰ وجه الكمال لأتينا علىٰ جميع القرآن العظيم؛ لشمولها لجميع ما فيه من الهدىٰ إلىٰ خيري الدنيا والآخرة.

ولكنَّا -إن شاء الله تعالىٰ- سنذكر جملًا وافرة في جهات مختلفة كثيرة مِن هدىٰ القرآن للطريق التي هي أقوم بيانًا لبعض ما أشارت إليه الآية الكريمة، تنبيهًا ببعضه علىٰ كله من المسائل العظام، والمسائل التي أنكرها الملحدون من الكفَّار، وطعنوا بسببها في دين الإسلام، لقصور إدراكهم عن معرفة حكمها البالغة...». «أضواء البيان» (٣/ ١٧).

فدل ذلك علىٰ أن تدبر القرآن يدعو إلىٰ كل خير ويعصم من كل شر.

ووصف الله القرآن بأنه أحسن الحديث، وأنه تعالىٰ ثنىٰ فيه من الآيات وردد القول فيه ليفهم، وأن جلود الأبرار عند سماعه تقشعر خشية وخوفًا.

فقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣].

وعاتب سبحانه المؤمنين علىٰ عدم خشوعهم عند سماع القرآن وحذَّرهم من مشابهة الكفار في ذلك فقال سبحانه: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦].

وأخبر سبحانه عن القرآن أنه يزيد المؤمنين إيمانًا إذا قرءوه وتدبروا آياته، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

وأخبر عن صالح أهل الكتاب أن القرآن إذا تلي عليهم يخرون للأذقان سجدًا يبكون ويزيدهم خشوعًا وإيمانًا وتسليمًا، فقال سبحانه: ﴿قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩].

ثم مع هذا فإن الله تعالىٰ قد حذَّر عباده من الإعراض عن القرآن الكريم أشد التحذير، وبيَّن لهم خطورة ذلك وما يجنيه من فعل ذلك من الإثم والوزر الذي يحمله معه يوم القيامة بسبب إعراضه عن القرآن وعدم تلقيه بالقبول والتسليم.

يقول الله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا﴾ [طه:٩٩-١٠١].

فإذا كان القرآن ذكرًا للرسول ﷺ ولأمته فيجب علينا تلقيه بالقبول والتسليم والانقياد والتعظيم، وأن نهتدي بنوره إلىٰ الصراط المستقيم، وأن نُقبِل عليه بالتعلم والتعليم والعمل بتوجيهاته لننعم بطيب العيش في هذه الحياة ولنحظىٰ بشفاعته بعد الممات وفي المعاد، وأن مقابلته بالإعراض والصدود أو بما هو أخطر من ذلك من الإنكار والجحود، فإنه زيغ وضلال وكفر وطغيان يستحق فاعله العقوبة في الدنيا بضنك العيش والشقاوة والحرمان، ويوم القيامة ينسىٰ ويحشر في النار مع العميان.

قال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٦].

فحريٌّ بكل مسلم ولاسيما في هذا الشهر المبارك والموسم العظيم أن يعظم القرآن الكريم، ويقدره حق قدره، ويتلوه حق تلاوته؛ بتدبر آياته والتفكر

والتعقل لمعانيه وبالعمل بما يقتضيه.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر؛ فإنه جامعٌ لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه، فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتىٰ مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمةٍ بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعىٰ إلىٰ حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن»[1].

وكلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وافي الدلالة عظيم الفائدة، ومن كان في قراءته للقرآن علىٰ هذا الوصف أثَّر فيه القرآن غاية التأثير وانتفع بتلاوته تمام الانتفاع، وكان بذلك من أهل العلم والإيمان الراسخين؛ وهذا هو مقصود القرآن وغاية مطلوبه.

ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالمَطلُوبُ مِن القُرآنِ هُوَ فَهمُ مَعَانِيهِ وَالعَمَلُ بِهِ، فَإِن لَم تَكُن هَذِهِ هِمَّةَ حَافِظِهِ لَم يَكُن مِن أَهلِ العِلمِ وَالدِّينِ»[2].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٧).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ٢٦٢).

اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، وعلِّمنا منه ما جهلنا وانفعنا بما علَّمتنا، وارزقنا حسن تلاوته وتدبره، ووفقنا للعمل به، واتباع أمره، واجتناب نهيه، وارفع به درجاتنا يوم العرض عليك، وأعذنا اللهم من الغفلة والإعراض عنه.

❁❁❁

رَمَضَانُ شَهرُ التَّقوَى

إن الله -تبارك وتعالىٰ- الرحمن الرحيم أوصىٰ عباده بتقواه التي بها يحصِّلون السعادة في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وينالون رضاه والفوز بدار كرامته والسلامة من ناره وعذابه، وهي وصيته سبحانه للأولين والآخرين من خلقه، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

وقد شرع سبحانه لعباده صيام شهر رمضان المبارك لتحقيق تقواه، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣]؛ يعني: بالصوم؛ لأن الصوم وصلة إلىٰ التقوىٰ لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات، فما شُرع صيام هذا الشهر الكريم إلا لتحقيق التقوىٰ؛ بل إنه من أكثر ما يعين علىٰ تحقيقها.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وللصوم تأثيرٌ عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوىٰ الباطنة، وحِميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها؛ فالصومُ يحفظ علىٰ القلب والجوارح صحتها، ويُعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العونِ علىٰ التقوىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ

ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾»[١].

وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾: «فإن الصيام من أكبر أسباب التقوىٰ؛ لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه، فمما اشتمل عليه من التقوىٰ:

أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها التي تميل إليها نفسه؛ متقربًا بذلك إلىٰ الله راجيًا بتركها ثوابه، فهذا من التقوىٰ.

ومنها: أن الصائم يدرِّب نفسه علىٰ مراقبة الله تعالىٰ، فيترك ما تهوىٰ نفسه مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه.

ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم، فبالصيام يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي.

ومنها: أن الصائم في الغالب تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوىٰ.

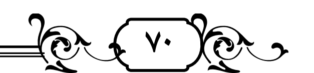
ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع أوجب له ذلك مواساةَ الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوىٰ»[٢].

وتقوىٰ الله هي طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ومعنىٰ التقوىٰ: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافُهُ وقايةً، وتقوىٰ العبد لربه: أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه، وذلك لا يكون إلا بفعل طاعته

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٢٩).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٨٦).



واجتناب معصيته.

والله ﷻ تارةً يأمر بتقواه فهو الذي يُخشىٰ ويُرجىٰ، وكل خيرٍ يحصل للعباد فهو منه سبحانه، وتارةً يأمر باتقاء النار التي هي مآل من خالف تقواه واتبع هواه، كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة:٢٤].

وكقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]، وتارةً يأمر باتقاء يوم القيامة يوم الحساب والجزاء والسعادة أو الشقاء؛ اليوم الذي ينال فيه المتقون ثوابهم والمجرمون المخالفون للتقوىٰ عذابهم وعقابهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨١].

وكان الرسول ﷺ يوصي أصحابه بتقوىٰ الله، وإذا أرسل سرِيَّةً يوصي أميرها في خاصة نفسه بتقوىٰ الله وبمن معه خيرًا، ولما خطب يوم النحر في حجة الوداع أوصىٰ الناس بتقوىٰ الله؛ لحاجة الناس إلىٰ هذه الوصية، ولعظيم أهميتها وفائدتها.

ولقد اعتنىٰ السلف الصالح بتحقيق التقوىٰ في نفوسهم وتوضيح معناها ومبناها ولم يزالوا يتواصون بها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «المُتَّقُونَ: الَّذِينَ يَحذَرُونَ مِنَ اللهِ عُقُوبَتَهُ فِي تَركِ مَا يَعرِفُونَ مِنَ الهُدَىٰ، وَيَرجُونَ رَحمَتَهُ فِي التَّصدِيقِ بِمَا جَاءَ بِهِ».

وقال الحسن البصري رحمه الله: «المُتَّقُونَ اتَّقَوا مَا حُرِّمَ عَلَيهِم، وَأَدَّوا مَا افتُرِضَ عَلَيهِم».

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَيسَ تَقوَىٰ اللهِ بِصِيَامِ النَّهَارِ وَلاَ بِقِيَامِ اللَّيلِ وَالتَّخلِيطِ فِيمَا بَينَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ تَقوَىٰ اللهِ: تَركُ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَأَدَاءُ مَا افتَرَضَ الله».

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **في قوله تعالىٰ:** ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:١٠٢]، **قال:** «أَن يُطَاعَ فَلَا يُعصَىٰ، وَيُذكَرَ فَلَا يُنسَىٰ، وَأَن يُشكَرَ فَلَا يُكفَرَ».

وقال طلق بن حبيب: «التَّقوَىٰ أَن تَعمَلَ بِطَاعَةِ اللهِ عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ تَرجُو ثَوَابَ اللهِ، وَأَن تَترُكَ مَعصِيَةَ اللهِ عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللهِ تَخَافُ عِقَابَ الله»(١).

ولما قال رجل لعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**: اتق الله، أجابه عمر بقوله:** «لَا خَيرَ فِيكُم إِن لَم تَقُولُوهَا، وَلَا خَيرَ فِينَا إِذَا لَم نَقبَلهَا».

والتقوىٰ محلها القلب، روىٰ الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيحه»، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديث طويل، وفيه أنه ﷺ قال: «**التَّقوَىٰ هَاهُنَا**» وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(٢).

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كان أصلُ التَّقوىٰ في القُلوب، فلا يطَّلعُ أحدٌ علىٰ حقيقتها إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، كما قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُم وَأَموَالِكُم، وَلَكِن يَنظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُم وَأَعمَالِكُم**» أخرجه مسلم، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ،

---

(١) أورد الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الآثار عن السلف -رحمهم الله- في «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٩٦).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤).

وفي رواية: «إِنَّ اللهَ لَا يَنظُرُ إِلَىٰ أَجسَادِكُم وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُم»[1]. وحينئذٍ فقد يكون كثيرٌ ممن له صورة حسنة أو مال أو جاه أو رياسة في الدنيا قلبه خرابًا من التقوىٰ، ويكون من ليس له شيء من ذلك قلبُه مملوءًا من التقوىٰ، فيكون أكرم عند الله عَزَّوَجَلَّ، بل ذلك هو الأكثر وقوعًا[2].

وللتقوىٰ عوائد عديدة وثمار كثيرة، يجنيها المتقون في الدنيا والآخرة، فمن ثمراتها في الدنيا:

- حصول العلم النافع: قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقال سبحانه: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال:٢٩].

- الخروج من المحن، وحصول الرزق الطيب للعبد من حيث لا يحتسب، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢-٣].

- أنهم ينالون محبة الله، ومعيَّته، ومغفرته؛ وبذلك يتحقق لهم الفوز والفلاح، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤].

وقال سبحانه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال:٦٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة:١٨٩].

---

(١) كلتا الروايتين أخرجها الإمام مسلم برقم (٢٥٦٤).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ٦٢٦).

وأما ثمرات التقوىٰ في الآخرة فهي كثيرة وعديدة، منها:

- الفوز بجنات النعيم، وحصول الرفعة لهم والعاقبة الحميدة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم:٣٤].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة:٢١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨].

- ومن أعظم ثمرات التقوىٰ لقاءُ الله ورؤيتُه يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[القمر:٥٤-٥٥].

فنسأل الكريم رب العرش العظيم، ونحن في هذا الموسم العظيم والشهر الكريم أن يزيِّن قلوبنا بزينة التقوىٰ، وأن يجعلها لنا زادًا في هذه الدنيا ويوم نلقاه.

❊ ❊ ❊



رَمَضَانُ شَهرُ الصَّبر

إن الصبر هو الأساس الأكبر لكل خُلُقٍ جميل، والتنزه من كلِّ خُلُقٍ رذيل، وهو حبس النفس علىٰ ما تكره، وعلىٰ خلاف مرادها طلبًا لرضا الله وثوابه، ويدخل فيه الصبر علىٰ طاعة الله، وعن معصيته، وعلىٰ أقدار الله المؤلمة، فلا تتم هذه الثلاثة التي تجمع الدين كله إلا بالصبر:

فالطاعات -خصوصًا الطاعات الشاقة كالجهاد في سبيل الله، والعبادات المستمرة كطلب العلم والمداومة علىٰ الأقوال النافعة والأفعال النافعة- لا تتم إلا بالصبر عليها، وتمرين النفس علىٰ الاستمرار عليها وملازمتها ومرابطتها، وإذا ضعف الصبر ضعفت هذه الأفعال وربما انقطعت.

وكذلك كفُّ النفس عن المعاصي -وخصوصًا المعاصي التي في النفس داعٍ قويٌّ إليها- لا يتم الترك إلا بالصبر والمصابرة علىٰ مخالفة الهوىٰ وتحمُّل مرارته.

وكذلك المصائب حين تنزل بالعبد ويريد أن يقابلها بالرضا والشكر والحمد لله علىٰ ذلك، لا يتم ذلك إلا بالصبر واحتساب الأجر، ومتىٰ مَرَّن العبد نفسه علىٰ الصبر ووطَّنها علىٰ تحمُّل المشاق والمصاعب وجدَّ واجتهد في تكميل ذلك صار عاقبته الفلاح والنجاح.

وَقَلَّ مَن جَدَّ فِي أَمرٍ تطلَّبه   واستصحبَ الصَّبرَ إلَّا فاز بالظَّفَرِ

وإن شهر رمضان مدرسة عظيمة وصرح شامخ يستلهم منه العباد كثيرًا من العبر والدروس النافعة، التي تربي النفوس وتقوِّمها في شهرها هذا وبقية عمرها، وإن مما يجنيه الصائمون في هذا الشهر العظيم والموسم المبارك تعويد النفس وحملها علىٰ الصبر؛ ولذا وصف النبي الكريم ﷺ شهر رمضان بشهر الصبر في أكثر من حديث.

روىٰ الإمام أحمد في «مسنده»، عن أبي قتادة رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «**صَومُ شَهرِ الصَّبرِ، وَثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِن كُلِّ شَهرٍ صَومُ الدَّهرِ**»[(١)].

وروىٰ البزَّار في «مسنده»، عن علي رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**صَومُ شَهرِ الصَّبرِ وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِن كُلِّ شَهرٍ يَذهَبنَ بِوَحَرِ الصَّدرِ**»[(٢)]؛ أي: غِلِّه وحقده وحسده.

وروىٰ النَّسائي عن الباهلي رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال له: «**صُم شَهرَ الصَّبرِ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهرِ**»[(٣)].

ففي هذه الأحاديث الثلاثة وصف النبي ﷺ شهر رمضان بأنه شهر الصبر؛ وذلك لأن رمضان يجتمع فيه أنواع الصبر كلها؛ الصبر علىٰ طاعة الله، والصبر عن معصيته، والصبر علىٰ أقدار الله المؤلمة.

فرمضان فيه الصيام، وفيه القيام، وفيه تلاوة القرآن، وفيه البر والإحسان

---

(١) رواه أحمد (٧٥٧٧)، والنَّسائي (٢٤٠٨)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧١٨).

(٢) رواه البزَّار (٦٨٨)، وحسنه الألباني في «صحيح التَّرغيب» (١٠٣٢).

(٣) رواه النسائي في «السُّنن الكُبرىٰ» (٢٧٥٦).

والجود والكرم وإطعام الطعام والذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، وغير ذلك من أنواع الطاعات، وهي تحتاج إلىٰ صبر ليقوم بها الإنسان علىٰ أكمل الوجوه وأفضلها.

وفيه كفُّ اللسان عن الكذب والغش واللغو والسب والشتم والصخب والجدال والغيبة والنميمة ومنع بقية الجوارح عن اقتراف جميع المعاصي، وهذا يكون في رمضان وفي غيره، والبعد عن هذه المعاصي يحتاج إلىٰ صبر حتىٰ يستطيع العبد حفظ نفسه عن الوقوع فيها.

ورمضان فيه ترك الطعام والشراب وما يتعلق بها ونفسه تتوق لذلك، وكذلك حبس النفس عما أباحه الله من الشهوات والملذات كالجماع ومقدماته، وهذا لا تستطيع النفس إلا بالصبر.

فاشتمل رمضان علىٰ أنواع الصبر كلها.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنفس فيها قوتان: قوة الإقدام، وقوة الإحجام؛ فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلىٰ ما ينفعه، وقوة الإحجام إمساكًا عما يضره، ومن الناس من تكون قوة صبره علىٰ فعل ما ينتفع به وثباتُه عليه أقوىٰ من صبره عما يضره فيصبر علىٰ مشقة الطاعة ولا صبر له عن داعي هواه إلىٰ ارتكاب ما نُهي عنه، ومنهم من تكون قوة صبره عن المخالفات أقوىٰ من صبره علىٰ مشقة الطاعات، ومنهم من لا صبر له علىٰ هذا ولا ذاك، وأفضل الناس أصبرهم علىٰ النوعين، فكثير من الناس يصبر علىٰ مكابدة قيام الليل في الحر والبرد وعلىٰ مشقة الصيام ولا يصبر عن نظرة محرمة، وكثير من الناس يصبر عن النظر

وعن الالتفات إلىٰ الصور ولا صبر له علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين، بل هو أضعف شيء عن هذا وأعجزه، وأكثرهم لا صبر له علىٰ واحد من الأمرين، وأقلهم أصبرهم في الموضعين»(١).

وقال أيضًا: «فالإنسان منا إذا غلب صبرُه باعثَ الهوىٰ والشهوة التحق بالملائكة، وإن غلب باعثُ الهوىٰ والشهوة صبرَه التحق بالشياطين، وإن غلب باعثُ طبعه من الأكل والشرب والجماع صبرَه التحق بالبهائم»(٢).

وقد أمر الله بالصبر وأثنىٰ علىٰ الصابرين، وأخبر أن لهم المنازل العالية والكرامات الغالية في آيات كثيرة من القرآن، وأخبر أنهم يوفون أجرهم بغير حساب قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥].

وقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣].

---

(١) «عدَّة الصابرين» (ص ٣٧).

(٢) «عدَّة الصابرين» (ص ٤٤).

وقال تعالىٰ في جزاء الصابرين وأجرهم: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

وقال ﷺ: «وَمَن يَتَصَبَّر يُصَبِّرهُ اللهُ»(١).

وقال ﷺ: «وَأَنَّ النَّصرَ مَعَ الصَّبرِ»(٢).

وحسبك من خُلُقٍ يسهِّل علىٰ العبد مشقة الطاعات، ويهوِّن عليه ترك ما تهواه النفوس من المخالفات، ويسليه عن المصيبات، ويُمِدُّ الأخلاق الجميلةَ كلها ويكون لها كالأساس للبنيان، ومتىٰ علِم العبد ما في الطاعات من الخيرات العاجلة والآجلة، وما في المعاصي من الأضرار العاجلة والآجلة، وما في الصبر علىٰ المصائب من الثواب الجزيل والأجر العظيم؛ سهل الصبر علىٰ النفس، وربما أتت به منقادة مستحلية لثمراته، وإذا كان أهل الدنيا يهوِّن عليهم الصبر علىٰ المشقات العظيمة لتحصيل حطامها، فكيف لا يهون علىٰ المؤمن الموفق الصبر علىٰ ما يحبه الله لحصول ثمراته؟!

ومتىٰ صبر العبد لله مخلصًا في صبره كان الله معه؛ فإن الله مع الصابرين بالعون والتوفيق والتأييد والتسديد.

اللهم وفِّقنا للقيام بحق هذا الشهر، وطهرنا من وَحَرِ الصدر، وألبِسنا فيه حلل اليقين والصبر.

---

(١) رواه البخاري (١٤٦٩).

(٢) رواه أحمد في (٢٦٦٦)، والحاكم في «مستدركه» (٦٣٠٤)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٣٨٢).



رَمَضَانُ شَهرُ الاستِغفَارِ

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣].

إن هذه الآية الكريمة تبين سعة رحمة الله ولطفه بعباده، وفيها نداء من الرحمن الرحيم للمسرفين والمذنبين الذين ارتكبوا أعظم الذنوب وأشنعها -ويدخل في ذلك الشرك والكفر وكبائر الذنوب- أن يقلعوا من ذنوبهم هذه ويستغفروا ربهم الغفور الرحيم؛ فإنه يغفر الذنوب جميعًا ولا يتعاظم ذنبًا أبدًا مهما كبُر وعظم طالما استغفر صاحبه وتاب[(١)].

روىٰ الترمذي، عن أنس بن مالك ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«قَالَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: يَا ابنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي؛ غَفَرتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابنَ آدَمَ، لَو بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ استَغفَرتَنِي؛ غَفَرتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَو أَتَيتَنِي بِقُرَابِ الأَرضِ**

---

(١) قال بعض السلف عن هذه الآية أنها أرجىٰ آية في كتاب الله، يعزىٰ هذا القول لعلي وابن مسعود ﭭ. انظر: «التسهيل» لابن جزي (١/ ١٨٥٣)، وعزاه القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٩) لابن عمر ﭭ.

خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشرِكُ بِي شَيئًا لَأَتَيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغفِرَةً»(١).

وقد أمر الله عباده في القرآن بالاستغفار، قال تعالىٰ: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل:٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود:٣].

وبيَّن سبحانه أنه يغفر لمن استغفره فقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠].

ومدح الله عباده المستغفرين فقال: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧].

وقال سبحانه: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٨].

وكان من هديه ﷺ كثرة الاستغفار، قال ﷺ: «إِنِّي لَأَستَغفِرُ اللهَ فِي اليَومِ مِائَةَ مَرَّةٍ»(٢).

وفي حديث آخر: «أَكثَرَ مِن سَبعِينَ مَرَّةً»(٣).

وإن شهر رمضان له مزيد خصوصية في مغفرة الذنوب ومحو السيئات؛ فالسعيد من أدرك رمضان وقضىٰ أيامه ولياليه في طاعة الله وما يرضيه، فاستحق بذلك المغفرة والرضوان من الملك الديان، والشقي المحروم ذاك الذي دخل

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٠)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٢٧).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢).

(٣) رواه البخاري (٦٣٠٧).

عليه هذا الشهر العظيم ولم يعمل صالحًا يرقيه، ولم يتب من ذنوبه التي تهلكه وتخزيه، وأضاع شهره بأيامه ولياليه فيما يغضب ربه ويرديه، ولم يتوجه إلىٰ ربه طالبًا غفران ذنوبه ومساويه، حتىٰ خرج شهر الغفران وهو باقٍ علىٰ صدوده وتجنيه.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَانِي جِبرِيلُ** عليه السلام، **فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَن أَدرَكَ أَحَدَ وَالِدَيهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبعَدَهُ اللهُ قُل: آمِينَ، فَقُلتُ: آمِينَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَن أَدرَكَ شَهرَ رَمَضَانَ فَمَاتَ فَلَم يُغفَر لَهُ فَأُدخِلَ النَّارَ فَأَبعَدَهُ اللهُ، قُل: آمِينَ، فَقُلتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَن ذُكِرتُ عِندَهُ فَلَم يُصَلِّ عَلَيكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبعَدَهُ اللهُ، قُل: آمِينَ، فَقُلتُ: آمِينَ**»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ أيضًا، عن النبي ﷺ قال: «**رَغِمَ أَنفُ رَجُلٍ ذُكِرتُ عِندَهُ فَلَم يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انسَلَخَ قَبلَ أَن يُغفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنفُ رَجُلٍ أَدرَكَ عِندَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَم يُدخِلَاهُ الجَنَّةَ**»[٢].

والحري بالعبد المؤمن أن يغنم خيرات هذا الشهر وبركاته، وأن يلازم الاستغفار ويكثر منه؛ ليغنم عوائده المبارك وفوائده الجليلة، وهي كثيرة لا تحصىٰ؛ في الدنيا والآخرة.

فمن فوائده الدنيوية ما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٢٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٩٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥١٠).

غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠-١٢].

وجاء في الأثر(١) عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنَّ رجلًا شكا إليه الجدبَ فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر جفاف بستانه فقال: استغفر الله، وشكا إليه آخر عدم الولد فقال: استغفر الله، ثم تلا عليهم قول الله تعالىٰ عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾؛ أي: إذا تبتم إلىٰ الله واستغفرتموه وأطعتموه؛ كثَّر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وَأَدَرَّ لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين؛ أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها»(٢).

فهذه الثمرات المذكورة هنا هي مما يناله العبد في دنياه جزاء استغفاره من الخيرات العميمة والعطايا الكريمة والثمرات المتنوعة.

وأما ما يناله المستغفرون يوم القيامة من الثواب الجزيل والأجر العظيم والرحمة والمغفرة والعتق من النار والسلامة من العذاب فأمرٌ لا يحصيه إلا الله تعالىٰ، روىٰ ابن ماجه في «سننه»، عن عبد الله بن بُسر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣/ ٨٧)، والطبراني في «الدعاء» (٩٦٤).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٢٦٠).

«طُوبَىٰ لِمَن وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ استِغفَارًا كَثِيرًا»[(١)]، وسنده صحيح.

وروىٰ الطبراني في «الأوسط»، عن الزبير بن العوام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أَحبَّ أَن تسرَّهُ صَحِيفَتُهُ فَليُكثِر فِيهَا مِنَ الاستِغفَارِ»[(٢)].

لكن مما ينبغي أن يعلم هنا أن المراد بالاستغفار ما اقترن به ترك الإصرار؛ فهو حينئذٍ يعد توبة نصوحًا تَجُبُّ ما قبلَها، وهذا هو الاستغفار الذي ندب الله إليه وكافأ أصحابه بالمغفرة، قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦].

وللمغفرة ثلاثة أسباب عظيمة اجتمعت في حديث أنس المتقدم:

الأول: أن العبد إذا أذنب ذنبًا لم يرجُ مغفرته من غير ربه، ويعلم أنه لا يغفر الذنوب ويأخذ بها غيره.

ففي «الصحيح»، عن النبي ﷺ قال: «أَذنَبَ عَبدٌ ذَنبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغفِر لِي ذَنبِي، فَقَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: أَذنَبَ عَبدِي ذَنبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغفِرُ الذَّنبَ وَيَأخُذُ بِالذَّنبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذنَبَ فَقَالَ: أَي رَبِّ اغفِر لِي ذَنبِي، فَقَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: عَبدِي أَذنَبَ ذَنبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغفِرُ الذَّنبَ وَيَأخُذُ بِالذَّنبِ ثُمَّ عَادَ فَأَذنَبَ،

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨١٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٣٠).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٣٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٣٩)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٩٩).

فَقَالَ: أَي رَبِّ اغفِر لِي ذَنبِي، فَقَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: أَذنَبَ عَبدِي ذَنبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغفِرُ الذَّنبَ وَيَأخُذُ بِالذَّنبِ اعمَل مَا شِئتَ فَقَد غَفَرتُ لَكَ»(١).

الثاني: الاستغفار؛ ولو عظُمت الذنوب وبلغت الكثرة عنان السماء: وهو السحاب، وقيل: ما انتهىٰ إليه البصر منها: «**وَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَو أَخطَأتُم حَتَّىٰ تَملأَ خَطَايَاكُم مَا بَينَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ ثُمَّ استَغفَرتُم اللهَ ﷻ لَغَفَرَ لَكُم**»(٢).

والاستغفار: طلب المغفرة، والمغفرة: هي وقاية شر الذنوب مع سترها، وإذا قُرن الاستغفار بالتوبة فيكون الاستغفار حينئذٍ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح.

الثالث: التوحيد؛ وهو السبب الأعظم، فمن فقَدَه فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتىٰ بأعظم أسباب المغفرة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨].

اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها صغيرها وكبيرها ما علمنا منها وما لم نعلم، واختم بالصالحات أعمالنا(٣).

---

(١) رواه البخاري(٧٥٠٧)، و مسلم (٢٧٥٨).

تنبيه: وهذا الحديث يفتح باب الرجاء للعبد المذنب وليس لفتح باب التجرؤ علىٰ المعاصي والسيئات والعياذ بالله.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَعنَاهُ : مَا دُمت تُذنِب ثُمَّ تَتُوب غَفَرت لَك». «شرح النووي علىٰ صحيح مسلم» (١٧/ ٧٥).

(٢) رواه أحمد (١٣٤٩٣)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٩٥١).

(٣) **قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر -حفظه الله-:** وفيه «صيغة عظيمة من صيغ =



رَمَضَانُ شَهرُ التَّوبَةِ وَالغُفرَانِ

إن هذا الموسم العظيم والشهر الكريم موسم رحمةٍ مهداة من رب العالمين للعباد؛ لإقالة العثرات، ومغفرة الزلات، والتوبة عن الخطيئات والسيئات، فما أرحمه سبحانه وأحلمه، هيَّأ لعباده كل ما يقربهم منه ويردهم إليه؛ فأمر عباده المؤمنين أمرًا مطلقًا بالتوبة النصوح في كل حين وزمان ومكان؛ ليحصل لهم تكفير السيئات وإقالة العثرات ورفع الدرجات والفوز بالجنات، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم:٨].

=

الاستغفار جاءت في سنة النبي الكريمﷺ، بل هي كما ذكر أهل العلم أفضل صيغ الاستغفار وأكملها، ولهذا ينبغي أن تعتني بحفظ هذه الصيغة وفهمها وضبطها والعمل بها.

فعن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**سَيِّدُ الاستِغفَارِ أَن يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ، خَلَقتَنِي وَأَنَا عَبدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهدِكَ وَوَعدِكَ مَا استَطَعتُ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا صَنَعتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنبِي فَاغفِر لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنتَ**» يقول النبي ﷺ: «**مَن قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِن يَومِهِ قَبلَ أَن يُمسِيَ فَهُوَ مِن أَهلِ الجَنَّةِ، وَمَن قَالَهَا مِنَ اللَّيلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبلَ أَن يُصبِحَ فَهُوَ مِن أَهلِ الجَنَّةِ**» جاء في بعض الروايات: «**دخل الجنة**»، وفي رواية ثالثة: «**إلا وجبت له الجنة**». «شرح حديث سيد الاستغفار» ضمن «سلسلة رسائل الفضيلة» (ص٣٠٧).

وقال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

وروىٰ مسلم في «صحيحه»: أن رسول الله ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي اليَوم إِلَيهِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

وفي رواية له: «إِنِّي لَأَستَغفِرُ اللهَ فِي اليَوم مِائَةَ مَرَّةٍ»(١).

بل الله يشتد فرحه بتوبة عبده إليه، روىٰ مسلم في «صحيحه»، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوبَةِ عَبدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيهِ مِن أَحَدِكُم كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِأَرضِ فَلَاةٍ فَانفَلَتَت مِنهُ وَعَلَيهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً فَاضطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَد أَيِسَ مِن رَاحِلَتِهِ، فَبَينَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِندَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنتَ عَبدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ»(٢).

والواجب علىٰ المسلم أن يدرك أهمية التوبة وشدَّة احتياجه إليها وأن يدرك كذلك خطر الذنوب وشدَّة ضررها علىٰ أهلها في الدنيا والآخرة؛ فهي سبب لنزول المصائب والعقوبات والقوارع، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورىٰ:٣٠].

وقال سبحانه: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٤٧).

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [الرعد:٣١].

وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي؟!

فما الذي أغرق أهل الأرض جميعًا حتىٰ علا الماء رءوس الجبال؟

وما الذي سلط الريح علىٰ قوم هود حتىٰ ألقتهم موتىٰ كأنهم أعجاز نخل خاوية؟

وما الذي أرسل علىٰ قوم ثمود الصيحة حتىٰ قطعت قلوبهم في أجوافهم؟

وما الذي قلب قرية قوم لوط فجعل عاليها سافلها ثم أتبعهم حجارة فأبادتهم؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه؟

وما الذي خسف بقارون وماله وأهله؟

وما الذي بعث علىٰ بني إسرائيل قومًا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيرًا[(١)]؟

إن السبب لهذا كله إنما هو الذنوب والمعاصي، قال تعالىٰ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا

---

(١) انظر: «الجواب الكافي» (ص٢٧).



بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٠].

وقال سبحانه: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا﴾ [نوح: ٢٥].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كلام عظيم له يوضح فيه شيئًا من آثار الذنوب الخطيرة وأضرارها العظيمة وعواقبها الوخيمة:** «اقشعرَّت الأرض وأظلمت السماء وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة، وذهبت البركات وقلَّت الخيرات وهزلت الوحوش وتكدرت الحياة من فسق الظلمة، بكىٰ ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة، وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلىٰ ربهم من كثرة الفواحش وغلبة المنكرات والقبائح.

وهذا والله منذرٌ بسيل عذاب قد انعقد غمامه، ومؤذِنٌ بليلِ بلاءٍ قد ادلهمَّ ظلامه، فاعزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح ما دامت التوبة ممكنة وبابها مفتوح، وكأنكم بالباب وقد أغلق، وبالرهن وقد غَلِق، وبالجناح وقد عَلِق ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

اشترِ نفسك اليوم فإن السوق قائمةٌ، والثمن موجودٌ، والبضائعَ رخيصةٌ، وسيأتي علىٰ تلك السوق والبضايع يومٌ لا تصل فيها إلىٰ قليل ولا كثير ﴿ذَٰلِكَ

يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن:٩]، ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾[الفرقان:٢٧]»[(١)].

هذا وإن كثيرًا من الناس غلبته الشواغل والمغريات والملهيات، وأصبحت عائقًا وحجر عثرة له عن التوبة والرجوع إلىٰ الله؛ يصبح ويمسي وهو في ترفٍ وبذخ، وإسرافٍ وتبذير، ولعبٍ وسهر، ونومٍ وكسل، وظلمٍ وفجورٍ وطغيان؛ فشهر رمضان فرصة لأمثال هؤلاء الغافلين للتوبة النصوح والإقبال علىٰ الله، وإذا لم تتحرك النفس في هذا الموسم العظيم للتوبة فمتىٰ تتحرك؟! وإذا لم يقبِل العبد علىٰ الله في هذا الشهر المبارك فمتىٰ يقبل؟!

والله ﷻ قد فتح باب التوبة لعباده ووعد بالقبول، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورىٰ: ٢٥].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَبسُطُ يَدَهُ بِاللَّيلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ حَتَّىٰ تَطلُعَ الشَّمسُ مِن مَغرِبِهَا**»[(٢)].

فليغنم المفرطون المقصرون شهر الغفران بالتوبة النصوح مستوفين شروطها، وهي ثلاثة شروط إن فُقِد أحدها لم تصح التوبة:

أولها: أن يقلع عن المعصية إقلاعًا تامًّا، وعلامته مفارقة الذنب فورًا.

الثاني: الندم علىٰ فعلها، وعلامته طول الحزن علىٰ ما فات.

الثالث: العزم علىٰ ألَّا يعود إلىٰ المعصية أبدًا، وعلامته التدارك لما فات

---

(١) «الفوائد» (ص ٦٥).

(٢) رواه مسلم (٢٧٥٩).

وإصلاح ما هو آت.

فإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي زاد شرط رابع وهو: أن يبرأ إلىٰ الله من هذا الحق وذلك بِرَدِّه إلىٰ صاحبه أو استحلاله منه.

اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

❊❊❊



شَأنُ الصَّلاةِ فِي رَمَضَان

ثبت في «الصحيحين»، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بُنِيَ الإِسلَامُ عَلَىٰ خَمسٍ: شَهَادَةِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيتِ، وَصَومِ رَمَضَانَ**»(١).

لا بد لنا ونحن في شهر الصيام أن نتحدث عن موضوع مهم وعظيم وهو لا يقل أهمية عن الصيام، بل إنه يتقدم علىٰ الصيام في المرتبة والمكانة ألا وهو الصلاة؛ فإن الصلاة من أعظم الواجبات التي أوجبها الله علىٰ عباده وأجلِّ الفرائض التي افترضها، فهي عماد الدين وآكد أركانه بعد الشهادتين، وهي الصلة بين العبد وربه، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإذا صلحت صلح سائر عمله، وإذا فسدت فسد سائر عمله، وهي الفارقة بين الكفر والإسلام؛ فإقامتها إيمان وإضاعتها كفر وضلال وعصيان، فلا دين لمن لا صلاة له، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

من حافظ عليها كانت له نورًا في قلبه ووجهه وقبره وحشره، وكانت له نجاة يوم القيامة، وحُشر مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦)، واللفظ له.



والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة، وحُشر مع فرعون وهامان وقارون وأُبي بن خلف.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جاء في الحديث «**لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة**»، وكان عمر بن الخطاب يكتب إلىٰ الآفاق: إن أهمَّ أموركم عندي الصلاةُ؛ فمن حفظها حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

قال: فكل مستَخِفٍّ بالصلاة مستهين بها فهو مستخِفٌّ بالإسلام مستهين به، وإنما حظهم في الإسلام علىٰ قدر حظهم من الصلاة، ورغبتُهم في الإسلام علىٰ قدر رغبتهم في الصلاة، فاعرف نفسك يا عبد الله.

واحذر أن تلقىٰ الله ولا قدر للإسلام عندك، فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك، وقد جاء الحديث عن النبيﷺ أنه قال: «**الصلاة عمود الدين**»، ألست تعلمُ أن الفُسطاطَ إِذا سقط عموده سقط الفسطاط ولم ينتفع بالطنب ولا بالأوتاد، وإذا قام عمود الفسطاط انتُفع بالطنب والأوتاد؟! وكذلك الصلاة من الإسلام، وجاء في الحديث: «**إنَّ أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن تقبلت منه صلاته تقبل منه سائر عمله، وإن ردت عليه صلاته رد عليه سائر عمله**»، فصلاتنا آخر ديننا، وهي أوَّل ما نُسأل عنه غدًا من أعمالنا يوم القيامة، فليس بعد ذهاب الصلاة إسلام ولا دين إذا صارت الصلاة آخر ما يذهب من الإسلام»[1].

---

(١) «حكم تارك الصلاة» للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ص ٩).

فتضييع الصلاة وإهمالها أمر جد خطير وليس بالهين، وفما يلي وقفة مع بعض النصوص بشأن الصلاة:

قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٣٨-٤٣].

فأخبر سبحانه بأن تارك الصلاة من المجرمين السالكين في سقر؛ وهو وادٍ في جهنم، وقال تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

وجاء عن ابن مسعود أن (غيًّا) نهر في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر[1]، فيا عظم مصيبة من لقيه! ويا شدة حسرة من دخله!

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١١].

فعلَّق أخوَّتهم بفعل الصلاة، فدل علىٰ أنهم إن لم يفعلوها فليسوا بإخوان لهم.

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].

ذكر ذلك بعد قوله: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ [المرسلات:٤٦].

وأما الأحاديث في هذا الشأن فهي كثيرة، منها:

---

(١) «جامع البيان في تأويل القرآن» (١٨/ ٢١٨).

عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَينَ الرَّجُلِ وَبَينَ الشِّركِ وَالكُفرِ تَرك الصَّلَاةِ**»[(١)].

وعن يزيد بن حبيب الأسلمي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**العَهدُ الَّذِي بَينَنَا وَبَينَهُم الصَّلَاةُ فَمَن تَرَكَهَا فَقَد كَفَرَ**»[(٢)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ: «**أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَومًا فَقَالَ: مَن حَافَظَ عَلَيهَا؛ كَانَت لَهُ نُورًا وَبُرهَانًا وَنَجَاةً يَومَ القِيَامَةِ، وَمَن لَم يُحَافِظ عَلَيهَا لَم يَكُن لَهُ نُورٌ وَلَا بُرهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَومَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرعَونَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بنِ خَلَفٍ**»[(٣)].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن شَهِدَ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاستَقبَلَ قِبلَتَنَا، وَصَلَّىٰ صَلَاتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَهُوَ المُسلِمُ، لَهُ مَا لِلمُسلِمِ وَعَلَيهِ مَا عَلَىٰ المُسلِمِ**»[(٤)].

وعن محجن الأسلمي ﷺ: **أَنَّهُ كَانَ فِي مَجلِسٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَذَّنَ بِالصَّلَاةِ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ وَمِحجَنٌ فِي مَجلِسِهِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مَنَعَكَ أَن تُصَلِّيَ أَلَستَ بِرَجُلٍ مُسلِمٍ؟» قَالَ: بَلَىٰ وَلَكِنِّي كُنتُ قَد صَلَّيتُ**

---

(١) رواه مسلم (٨٢).

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٣٧)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٥٦٤).

(٣) رواه أحمد (٦٥٧٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب» (٣١٢).

(٤) رواه البخاري (٣٩٣).

فِي أَهلِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا جِئتَ فَصَلِّ مَعَ النَّاسِ وَإِن كُنتَ قَد صَلَّيتَ»[(١)].

وقد جاء عن الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنىٰ آثار كثيرة منها: ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «**لَا حَظَّ فِي الإِسلَامِ لِمَن تَرَكَ الصَّلَاةَ**»[(٢)].

وقال: «**لا إسلام لمن ترك الصلاة**»، قاله بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه أحد منهم، بل قال مثلَ قوله هذا غيرُ واحد من الصحابة، منهم: معاذُ بن جبل وعبدُ الرحمن بنُ عوف وأبو هريرة وعبدُ الله بن مسعود وغيرُهم.

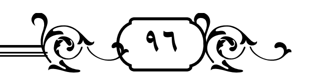
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**مَن سَرَّهُ أَن يَلقَىٰ اللهَ غَدًا مُسلِمًا فَليُحَافِظ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيثُ يُنَادَىٰ بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُم ﷺ سُنَنَ الهُدَىٰ، وَإِنَّهُنَّ مِن سُنَنِ الهُدَىٰ، وَلَو أَنَّكُم صَلَّيتُم فِي بُيُوتِكُم كَمَا يُصَلِّي هَذَا المُتَخَلِّفُ فِي بَيتِهِ لَتَرَكتُم سُنَّةَ نَبِيِّكُم، وَلَو تَرَكتُم سُنَّةَ نَبِيِّكُم لَضَلَلتُم، وَمَا مِن رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعمِدُ إِلَىٰ مَسجِدٍ مِن هَذِهِ المَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطوَةٍ يَخطُوهَا حَسَنَةً وَيَرفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحُطُّ عَنهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَد رَأَيتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَد كَانَ الرَّجُلُ يُؤتَىٰ بِهِ يُهَادَىٰ بَينَ الرَّجُلَينِ حَتَّىٰ يُقَامَ فِي الصَّفِّ**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (١٦٣٤٧)، ومالك (٢٩٣)، و النسائي (٨٥٧)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٣٧).

(٢) رواه مالك (٧٤)، والبيهقي (٦٢٩١)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٣/ ١٢٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨/ ٥٨١).

(٣) رواه مسلم (٦٥٤).



فإذا كان هذا شأن من لا يشهد الصلاة مع الجماعة يعده الصحابةُ منافقًا معلومَ النفاق فكيف إذن بالتارك لها!! -نسأل الله السلامة-، وقد ورد في فضل المحافظة علىٰ الصلاة وشدَّة عقوبة من تهاون فيها غير ما تقدم نصوص كثيرة لا يسع المقام لبسطها.

ومع ذلك فإنَّ مما يلاحظ علىٰ بعض الصائمين إهمالهم للصلاة وعدم عنايتهم بها؛ إما بتأخيرها عن وقتها، أو بالتفريط ببعض الصلوات مع اهتمام وعناية بأمر الصيام، ألم يعقِل هؤلاء مكانة الصلاة وعظم شأنها؟! ألم يكن لهم في مدرسة الصيام ما يقودهم إلىٰ المحافظة علىٰ الصلاة وتحقيق تقوىٰ الله سبحانه؟!، بل بعضهم أساء الفهم وأبعد النجعة في فهم مدلول قول النبي ﷺ: «**مَن صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ**»[(١)].

حيث توهم أن هذا الصيام يكفيه لنيل الغفران، فركن إلىٰ ذلك وضيع الصلوات، وما أسوأه من فهم وأبعده عن الحق والهدىٰ، وأين هذا من النصوص الواردة في الصلاة ترغيبًا وترهيبًا وهي كثيرة، وقد تقدم شيء منها، وعَن أَبِي هُرَيرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَىٰ الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَينَهُنَّ إِذَا اجتَنَبَ الكَبَائِرَ**»[(٢)].

وترك الصلاة كبيرة من الكبائر، بل دلت النصوص المتقدمة علىٰ أنه كفر، وأن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن تقبلت تقبل منه

---

(١) رواه البخاري (٢٠١٤)، مسلم (٧٦٠).

(٢) رواه مسلم (٢٣٣).

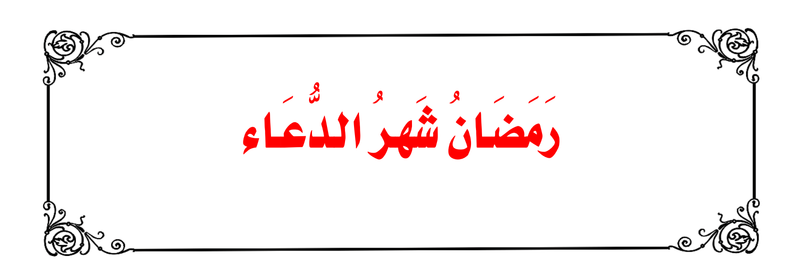
سائر عمله، وإن ردت رد عليه سائر عمله[١].

نسأل الله أن يوفقنا جميعًا لإقام الصلاة وأدائها كما بينها رسولنا ﷺ في المساجد مع الجماعة، وأن يهدي ضال المسلمين، ويحبب إلينا الصلاة وسائر العبادات إنه سميع قريب مجيب.

❁❁❁

(١) نصيحة:

قال شيخنا عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر -حفظه الله-: «وحَرِيٌّ بكل مسلم أن تعظم عنايته بهذه الفريضة التي هي صلة بينه وبين ربه تعالىٰ، اهتمامًا بأركانها وواجباتها وشروطها وغير ذلكم مما شرع الله فيها، وأن يؤديها بغاية الخشوع والإحسان والطمأنينة ظاهرًا وباطنًا ليفوز بعظيم الثواب». «تعظيم الصلاة» (ص٧).



رَمَضَانُ شَهرُ الدُّعَاء

عن النعمان بن بشير ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]»[١].

فالدعاء من أجل العبادات وأعظمها وهو حق لله ﷻ لا يجوز أن يُصرف لغيره كائنًا من كان، وله مكانة عظيمة في الدين ومنزلة رفيعة فيه؛ وذلك لما في الدعاء من التضرع وإظهار الضعف والحاجة لله، ولأن العبادة كلما كان القلب فيها حاضرًا وأخشع فهي أفضل وأكمل، والدعاء أقرب العبادات إلىٰ حصول هذا المقصود، والدعاء فيه ملازمة للتوكل والاستعانة بالله، والتوكل هو اعتماد القلب علىٰ الله وثقته به في حصول المحبوبات واندفاع المكروهات.

والنصوص في فضل الدعاء وعظيم شأنه كثيرة لا تحصر، ولشهر الصيام شهر رمضان المبارك خصوصية في الدعاء، فإن الصائم ممن لا ترد دعوته إذا أخلص في صيامه ونصح في عبادته وصدق مع الله، ففي الحديث: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ**

---

(١) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٢٤٧)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (١٧٥٧).

مُستَجَابَاتٌ: دَعوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعوَةُ المَظلُومِ، وَدَعوَةُ المُسَافِرِ»[(١)].

وقال ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ: دَعوَةُ الوَالِدِ لِوَلَدِهِ، وَدَعوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعوَةُ المُسَافِرِ»[(٢)].

ومما يبين مكانة الدعاء وعلو شأنه في شهر الصيام أن قوله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ قد جاء متخللًا لآيات الصيام وفي أثنائها؛ فقبل هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾.

وبعدها قوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، فجاءت هذه الآية الكريمة وهي مختصة بالدعاء متوسطة لآيات الصيام ومحفوفة بها، ولعل في ذلك ما يدل علىٰ عظم قدر الدعاء وأهميته في هذا الشهر؛ لأن العبد في هذا الشهر المبارك يملؤه الرجاء أن يوفقه الله للقيام بحق الله في هذا الشهر علىٰ أتم الوجوه وأكملها؛ ولا سبيل له إلىٰ ذلك إلا بسؤال الله ودعائه، وهو كذلك يكثِر في هذا الشهر من الطاعات والعبادات والقربات وهو يرغب ويطمع أن يتقبلها الله منه؛ ولا سبيل إلىٰ ذلك إلا بدعائه والانكسار بين يديه والتضرع له.

---

(١) رواه الطبراني في «الدعاء» (١٢١٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥١٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٣٠).

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٦١٨٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٧٩٧).

وكذلك قد يكون العبد مرتكبًا لبعض الآثام قبل رمضان أو صدر عنه نقص أو تقصير أو تفريط أثناء رمضان وهو يرغب في توبة الله عليه ومغفرة ذنوبه؛ ولا سبيل إلىٰ ذلك إلا بالدعاء، فكأن الله يلفت عباده إلىٰ ما يلوذون به ويهربون إليه، وبه تجاب رغباتهم، وتقضىٰ حاجاتهم، وتقال عثراتهم، وتغفر زلاتهم[١].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ فتتيقن حينئذٍ أن الحسنات من نِعَمِه؛ فتشكره عليها وتتضرعَ إليه ألا يقطعها عنك، وأن السيئات من خذلانه وعقوبته؛ فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكِلَكَ في فعل الحسنات وترك السيئات إلىٰ نفسك. وقد أجمع العارفون علىٰ أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكلَّ شرٍّ فأصله خذلانه لعبده، وأجمعوا أنَّ التوفيق ألا يكِلَك الله إلىٰ نفسك، وأن الخذلان: هو أن يخلي بينك وبين نفسك، فإذا كان كلُّ خير فأصله التوفيق وهو بيد الله لا بيد العبد؛ فمفتاحه الدعاءُ والافتقار وصدق اللَّجإ والرغبةِ والرهبةِ إليه، فمتىٰ أعطَىٰ العبدَ هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتىٰ أضلَّه عن المفتاح بقي بابُ الخير مُرتَجًا دونه...وما أُتي من أُتِيَ إلا من قِبَل إضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء، ولا ظَفِرَ من ظفر -بمشيئة الله وعونِه- إلا بقيامه بالشكرِ وصدقِ الافتقار والدعاء»[٢].

والدعاءُ شأنُه في الإسلام عظيمٌ، ومكانتُه فيه ساميةٌ، ومنزلتُه منه عالية؛ إذ

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٥٠٩).

(٢) «الفوائد» (ص١٢٧).

هو أجلُّ العبادات وأعظمُ الطاعات وأنفعُ القربات، ولهذا جاءت النصوصُ الكثيرةُ في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ المبيِّنةُ لفضله والمُنَوِّهةُ بمكانته وعظم شأنه، والمرغِّبةُ فيه والحاثَّةُ عليه.

وقد تنوَّعت دلالاتُ هذه النصوص المبيِّنة لفضل الدعاء، فجاء في بعضها الأمرُ به والحثُّ عليه، وفي بعضها التحذير من تركه والاستكبار عنه، وفي بعضها ذكرُ عِظم ثوابه وكبر أجره عند الله، وفي بعضها مدحُ المؤمنين لقيامهم به، والثناءُ عليهم بتكميله، وغيرُ ذلك من أنواع الدلالات في القرآن الكريم علىٰ عظم فضل الدعاء.

بل إنَّ الله سبحانه قد افتتح كتابه الكريم بالدعاء واختممه به، فسورة «الحمد» التي هي فاتحة القرآن الكريم مشتملةٌ علىٰ دعاء الله بأجلِّ المطالب وأكمل المقاصد، أَلَا وهو سؤال الله ﷻ الهدايةَ إلىٰ الصراط المستقيم والإعانةَ علىٰ عبادته، والقيامَ بطاعته سبحانه، وسورةُ «الناس» التي هي خاتمة القرآن الكريم مشتملةٌ علىٰ دعاء الله سبحانه، وذلك بالاستعاذة به سبحانه من شرِّ الوسواس الخنَّاس، الذي يوسوسُ في صدور الناس، مِنَ الجِنَّة والناس، وما من ريبٍ أنَّ افتتاحَ القرآن الكريم بالدعاء واختتامَه به دليلٌ علىٰ عِظم شأن الدعاء وأنَّه روحُ العبادات ولبُّها.

بل إنَّ الله -جلَّ وعلا- سمَّىٰ الدعاءَ في القرآن عبادةً في أكثر من آية، مِمَّا يدلُّ علىٰ عِظم مكانته، كقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

وكقوله فيما حكاه عن نبيِّه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤٨-٤٩]، ونحوها من الآيات.

وسَمَّىٰ سبحانه الدعاءَ دِينًا كما في قوله: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ﴾ [غافر:٦٥]، ونحوها من الآيات.

وهذا كلُّه يُبيِّن لنا عِظمَ شأن الدعاء، وأنَّه أساسُ العبودية وروحُها، وعنوانُ التذلُّل والخضوع والانكسار بين يدي الربِّ، وإظهارِ الافتقار إليه، ولهذا حثَّ الله عبادَه عليه، ورغَّبهم فيه في آيٍ كثيرة من القرآن الكريم، يقول الله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٥ - ٥٦].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر:٦٥].

وأخبر سبحانه -مرَغِّبًا عبادَه في الدعاءِ- بأنَّه قريبٌ منهم يُجيب دعاءَهم، ويُحقِّقُ رجاءَهم، ويعطيهم سؤلهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [النمل:٦٢].

ولهذا فإنَّ العبدَ كلَّما عظُمت معرفتُه بالله وقويت صِلتُه به كان دعاؤُه له أعظمَ، وانكسارُه بين يديه أشدَّ، ولهذا كان أنبياءُ الله ورُسُلُه أعظمَ الناس تحقيقًا للدعاء وقيامًا به في أحوالهم كلِّها وشئونهم جميعِها، وقد أثنىٰ الله عليهم بذلك في القرآن الكريم، وذَكَر جملةً من أدعيتهم في أحوالٍ متعدِّدةٍ ومناسبات متنوِّعةٍ، قال تعالىٰ في وصفهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

فينبغي علىٰ المؤمن أن يُعنَىٰ بهذه العبادة، وأن يغنم أوقات هذا الشهر الشريف بالإقبال علىٰ الله بالدعاء والسؤال والإلحاح راغبًا راهبًا، مع العناية بشروط الدعاء وآدابه، راجيًا أن يكون من الفائزين بثواب الله الناجين من النار، فإن لله عتقاء من النار وذلك كلَّ ليلة من ليالي رمضان.

اللهم تقبل صيامنا وقيامنا ودعاءنا، ومنَّ علينا بالعتق من النار يا حي يا قيوم.

❁❁❁





يَا بَاغِيَ الخَيرِ أَقبِل

روىٰ الترمذي وابن ماجه، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيلَةٍ مِن شَهرِ رَمَضَانَ صُفِّدَت الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَت أَبوَابُ النَّارِ فَلَم يُفتَح مِنهَا بَابٌ، وَفُتِّحَت أَبوَابُ الجَنَّةِ فَلَم يُغلَق مِنهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيرِ أَقبِل، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقصِر، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِن النَّارِ وَذَلكَ كُلُّ لَيلَةٍ**»(١).

وقد جاء التصريح في حديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» بأن هذا المنادي ملَك من ملائكة الله، وأنه يتكرر كلَّ ليلة حتىٰ ينقضي الشهر؛ قال رسول الله ﷺ: «... **وَيُنَادِي فِيهِ مَلَكٌ: يَا بَاغِيَ الخَيرِ أَبشِر، يَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقصِر، حَتَّىٰ يَنقَضِيَ رَمَضَانُ**»(٢).

ولئن كان أهل الإيمان لا يسمعون صوت هذا المنادي إلا أنهم من ندائه علىٰ يقين؛ لأن الذي أخبر بذلك الصادق المصدوق -صلوات الله وسلامه عليه- الذي لا ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ.

---

(١) رواه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، واللفظ للترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٩).

(٢) رواه أحمد (١٨٠٤٢).

فلنستشعر في ليالي رمضان المباركات هذا النداء المبارك، هذا النداء العظيم، ولنفعِّل هذا النداء في حياتنا، ولنتأمل في أحوالنا وسلوكنا، ولننظر في حالنا من أي أهل النداءين؟ فإنهما نداءان وكل منهما مقصود به فئة من الناس يا باغي الخير... يا باغي الشر؛ وفي هذا دلالة أن قلوب الناس علىٰ قلبين: قلب يبغي الخير ويطلبه ويبحث عنه ويتحراه، وقلب آخر -والعياذ بالله- يبحث عن الشر ويتحرك في طلبه وينبعث في البحث عنه، فليسوا سواء؛ ليس من كان قلبه قلبًا صالحًا مستقيمًا يطلب الخير ويتحراه كمن قلبه -والعياذ بالله- قلبًا شريرًا لئيمًا يبحث عن الشر ويتحراه.

فمن كان قلبه ذلك القلب الكريم الذي يتحرىٰ الخير ويطلبه فليغنم شهر الخيرات: بالإقبال علىٰ الله، وبالمزيد من الطاعات، وبالاستكثار من العبادات، وباغتنام موسم الخيرات بالإكثار من الرغائب والمستحبات، وفي الحديث القدسي يقول الله -جل وعلا-: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افتَرَضتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزَالُ عَبدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحبَبتُهُ كُنتُ سَمعَهُ الَّذِي يَسمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبطِشُ بِهَا وَرِجلَهُ الَّتِي يَمشِي بِهَا، وَإِن سَأَلَنِي لَأُعطِيَنَّهُ، وَلَئِن استَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»[١].

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).

قال العلامة عبد المحسن العباد البدر -حفظه الله-: «في هذه الجملة وما بعدها بيان أنَّ ولاية الله إنَّما تحصل بالتقرُّب إليه بأداء الفرائض، والإتيان مع ذلك بالنوافل، وهو يدلُّ علىٰ أنَّ التقرُّبَ بأداء الفرائض أحبُّ إلىٰ الله من النوافل؛ لأنَّ في ذلك فعل ما أوجب الله وترك ما =

فالمقبِل علىٰ الخيرات يجتهد في الفرائض أولًا تبكيرًا إليها ومزيد اهتمامٍ بها وسعيًا في تتميمها وتكميلها، ثم بعد ذلك يوسع في باب الرغائب والمستحبات اغتنامًا واستكثارًا.

وما من شك أن هذا النداء العظيم المتكرر كلَّ ليلة من ليالي رمضان يُعَدُّ حافزًا عظيمًا للهمم والعزائم في شهر الخيرات؛ ينادي المقبلين علىٰ الخيرات تحفيزًا لهم وشحذًا لهممهم لاستباق الخيرات؛ سواء كانت متعلقة بالنفس كالمحافظة علىٰ الواجبات وأداء الصلاة والصيام وغيرها من الواجبات علىٰ أتم الوجوه وأفضلها والمنافسة في أداء النوافل والسنن واجتناب المحرمات والمكروهات، أو كانت متعلقة بالغير كبذل النصيحة لهم وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلىٰ الجيران وسائر الناس، وكالإنفاق في سبيل الله ومساعدة الفقراء والمحتاجين، وكف الأذىٰ عن الناس ومساعدتهم بالمال والبدن والجاه.

وكان هدي النبيﷺ في ذلك أكملَ هدي وأحسنَ هدي.

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيِّنًا هديه ﷺ في الصدقة والإحسان إلىٰ الناس: «كانﷺ أعظمَ الناس صدقةً بما ملكت يدُه، وكان لا يستكثر شيئًا أعطاه للهِ تعالىٰ ولا يستقِلُّه، وكان لا يسأله أحدٌ شيئًا عنده إلا أعطاه قليلًا كان أو كثيرًا، وكان عطاؤه عطاء مَن لا يخاف الفقر، وكان العطاءُ والصدقةُ أحبَّ شيءٍ إليه،

=

حرَّم الله، والآتي بالواجبات التارك للمحرَّمات هو المقتصد، ومَن أتىٰ بها وأتىٰ بالنوافل معها فهو السابق بالخيرات». «فتح القوي المتين» (ص١٢٨).

وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظمَ من سرور الآخذِ بما يأخذه، وكان أجودَ الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج آثره علىٰ نفسه، تارة بطعامه، وتارة بلباسه. وكان ينوِّع في أصناف عطائه وصدقته، فتارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشيء ثم يعطي البائع الثمنَ والسلعة جميعًا كما فعل ببعير جابر، وتارة كان يقترض الشيء فيرد أكثر منه وأفضل وأكبر، ويشتري الشيء فيعطي أكثر من ثمنه، ويقبل الهدية ويكافئ عليها بأكثر منها أو بأضعافها، تلطُّفًا وتنوُّعًا في ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن، وكانت صدقته وإحسانه بما يملكه وبحاله وبقوله، فيُخرِجُ ما عنده، ويأمُرُ بالصدقة ويحضُّ عليها ويدعو إليها بحاله وقوله، فإذا رآه البخيل الشحيح دعاه حاله إلىٰ البذل والعطاء، وكان مَن خالطَه وصحِبَه ورأىٰ هديَه لا يملك نفسه من السماحة والندىٰ، وكان هديه ﷺ يدعو إلىٰ الإحسان والصدقةِ والمعروفِ، ولذلك كان ﷺ أشرحَ الناس صدرًا، وأطيبَهم نفسًا، وأنعَمهم قلبًا، فإن للصدقة وفعلِ المعروفِ تأثيرًا عجيبًا في شرح الصدر»[(١)].

ومن شواهد ذلك ما رواه البخاري ومسلم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلقَاهُ جِبرِيلُ، وَكَانَ يَلقَاهُ فِي كُلِّ لَيلَةٍ مِن رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ أَجوَدُ بِالخَيرِ مِنَ الرِّيحِ المُرسَلَةِ»[(٢)].

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٢١-٢٢).

(٢) رواه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨)، واللفظ للبخاري.



ومن أبواب الخير التي رغب فيها الرسول ﷺ: تفطير الصائم وتجهيز الغازي في سبيل الله «**مَن فَطَّرَ صَائِمًا أَو جَهَّزَ غَازِيًا فَلَهُ مِثلُ أَجرِهِ**»(١).

وحث على الاعتمار في رمضان؛ روى البخاري، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**فَإِنَّ عُمرَةً فِي رَمَضَانَ تَقضِي حَجَّةً معي**»(٢).

وروى ابن ماجه، عَن جَابِرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**عُمرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعدِلُ حَجَّةً**»(٣).

فالثواب في هذا الشهر عظيم والأجر كبير وأبواب الخير واسعة، فليضرب كل بسهم فيها، والله تعالى يقول: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [البقرة:١٤٨]، وإذا فعل ذلك فليخلص لله النية وليَحتسب الأجر عنده وليُداوم على ذلك ما استطاع، وليحرص على اتباع النبي ﷺ وموافقة هديه في كل أمر، وليطلب العون من الله وحده على فعل الخيرات والمسابقة في أداء الطاعات والإكثار من الحسنات.

ومن الدعوات العظيمة التي علَّمها النبي ﷺ أصحابه، ولها نفع عظيم في هذا الباب، ما رواه ابن ماجه، عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ مِنَ الخَيرِ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمتُ مِنهُ وَمَا لَم أَعلَم، وَأَعُوذُ بِكَ مِن الشَّرِّ كُلِّهِ؛ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمتُ مِنهُ وَمَا لَم أَعلَم، اللَّهُمَّ**

---

(١) رواه البيهقي في «سننه» (٧٩٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٤١٤).

(٢) رواه البخاري (١٨٦٣).

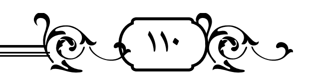
(٣) رواه الترمذي (٩٣٩)، وابن ماجه (٢٩٩٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٤٦).

إِنِّي أَسأَلُكَ مِن خَيرِ مَا سَأَلَكَ عَبدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيهَا مِن قَولٍ أَو عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيهَا مِن قَولٍ أَو عَمَلٍ، وَأَسأَلُكَ أَن تَجعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيتَهُ لِي خَيرًا»[(١)].

وفَّقنا الله جميعًا لفعل الخيرات واغتنام الأجور ورفيع الدرجات.

❀❀❀

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٧٦).





إن داعي الله في كل ليلة من ليالي رمضان مناديًا عباد الله الصائمين: «**يَا بَاغِيَ الخَيرِ أَقبِل، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقصِر**»(١).

يُعَدُّ حافزًا عظيمًا ودافعًا قويًّا لأهل الإيمان إلىٰ المنافسة في الخيرات والانكفاف عن الشرور والمحرمات، وأهلُ الإيمان وإن لم يسمعوا هذا النداء بآذانهم في ليالي رمضان المباركة إلا أنهم من وقوعه علىٰ يقين؛ لأن المخبر لهم بذلك هو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوىٰ -صلوات الله وسلامه عليه-.

وقد مضىٰ معنا حديث عن أهمية الاستباق إلىٰ الخيرات والمبادرة إلىٰ الطاعات في هذا الشهر الفضيل والموسم المبارك حيث تكثر فيه أبواب الخير وسُبله، وهو أيضًا موسم عظيم للانكفاف عن المعاصي والبعد عن الآثام؛ لما يترتب علىٰ فعلها من الهلكة، ولما يجنيه مقترفها من الذنوب والأوزار التي يستحق بها المقت والعقوبة من العزيز الجبَّار، ولاسيما في هذا الشهر الكريم

---

(١) رواه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، واللفظ للترمذي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٩٨).

والموسم العظيم شهر الطاعات؛ فإنه شهر لتصحيح المسلك والمسار الذي كان يسير عليه الإنسان، وهو شهرٌ للتوبة والإنابة، وموسم للاستزادة من فعل الطاعات والاستمرار عليها لمن كان علىٰ استقامة قبل دخوله، فكيف مع ذلك يصر بعض الناس علىٰ التمادي في العصيان والانهماك في الطغيان حتىٰ في هذا الشهر العظيم شهر الطاعة والغفران!

وهؤلاء وأمثالهم هم المعنيون بالنداء في الحديث: «**يَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِر**»؛ أي: تب إلىٰ الله، ودع ما أنت عليه من شر وطغيان؛ لئلا تندم علىٰ فعلك الشر في هذا الشهر، وتدارك الأمر قبل فوات الأوان ، فإنه قد يختم لك بما أنت عليه الآن، أو تصيبُك دعوةٌ من مؤمن أصابه شرُّك وناله ضررُك فتكون سببًا لهلاكك وشقائك في الدارين، أو ينسلخ هذا الشهر ويخرج وأنت لم تزدد من الله إلا بعدًا، ويا خيبة من يكون هذا مصيره ومخرجه من هذا الشهر المبارك.

والشر كله محرم في كل وقت وأوان، وسواء كان ضرره متعلقًا بالنفس أو بالغير من خلق الله، وسواء كان قولًا باللسان أو فعلًا بالجوارح أو أمرًا منكرًا انطوىٰ عليه القلب، وسواء كان هذا الشر مقروءًا أو مرئيًّا أو مسموعًا، قال تعالىٰ: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصول المعاصي كلها كبارِها وصغارها ثلاثة: تعلقُ القلب بغير الله، وطاعة القوة الغضبية، والقوة الشهوانية، وهي الشرك، والظلم والفواحش، فغاية التعليق بغير الله شرك وأن يدعىٰ معه إلهٌ آخر، وغاية

طاعة القوة الغضبية القتل، وغاية طاعة القوة الشهوانية الزنا، ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ [الفرقان:٦٨].

وهذه الثلاثة يدعو بعضها إلىٰ بعض؛ فالشرك يدعو إلىٰ الظلم والفواحش، كما أن الإخلاص والتوحيد يصرفهما عن صاحبه، قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤]؛ فالسوء: العشق، والفحشاء: الزنا، وكذلك الظلم يدعو إلىٰ الشرك والفاحشة؛ فإن الشرك أظلم الظلم، كما أن أعدل العدل التوحيد، فالعدل قرين التوحيد، والظلم قرين الشرك؛ ولهذا يجمع سبحانه بينهما.

أما الأول: ففي قوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [آل عمران:١٨].

وأما الثاني: فكقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣].

والفاحشة تدعو إلىٰ الشرك والظلم، ولاسيما إذا قويت إرادتها ولم تحصل إلا بنوع من الظلم والاستعانة بالسحر والشيطان.

وقد جمع سبحانه بين الزنا والشرك في قوله: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور:٣].

فهذه الثلاثة يجر بعضها إلىٰ بعض، ويأمر بعضها ببعض.

ولهذا كلما كان القلبُ أضعفَ توحيدًا وأعظمَ شركًا كان أكثرَ فاحشةً وأعظمَ

تعلقًا بالصور وعشقًا لها.

ونظير هذا قوله تعالىٰ: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ [الشورىٰ:٣٦-٣٧].

فأخبر أن ما عنده خير لمن آمن به وتوكل عليه، وهذا هو التوحيد ، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ فهذا اجتناب داعي القوة الشهوانية.

ثم قال: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾، فهذا مخالفة القوة الغضبية؛ فجمع بين التوحيد والعفة والعدل التي هي جماع الخير كله»[(١)].

وكان الرسول ﷺ كثيرًا ما يستعيذ بالله من الشرور والآثام ويرشد إلىٰ ذلك، وذلك كقوله ﷺ في خطبة الحاجة: «**إِنَّ الحَمد لِلَّهِ، نَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا**»[(٢)].

وكما مر في تعليم النبي ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول إذا أصبح وإذا أمسىٰ: «**أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ نَفسِي، وَمِن شَرِّ الشَّيطَانِ وَشِركِهِ**»[(٣)].

وينبغي للمسلم أن يعلم أن تركه للشر والذنوب والمعاصي فيه من الثمرات

(١) «الفوائد» (ص١١٦).

(٢) رواه أبو داود (١٠٩٧)، والترمذي (١١٠٥)، والنسائي (١٤٠٤)، وابن ماجه (١٨٩٢)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٨٤٤).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٢٩)، وأبو داود (٥٠٦٧)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٧٠١).

والفوائد ما لا يحصيه إنسان ولا يعبِّر عنه لسان.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سبحان الله ربِّ العالمين، لو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا إقامة المروءة، وصونُ العِرض، وحفظُ الجاه، وصيانة المال الذي جعله الله قوامًا لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبةُ الخلق وجوازُ القول بينهم، وصلاح المعاش، وراحة البدن، وقوةُ القلب، وطيبُ النفس، ونعيمُ القلب، وانشراح الصدر، والأمن من مخاوف الفجَّار والفسَّاق، وقلة الهم والغمِّ والحزن، وعز النفس عن احتمال الذل، وصونُ نورِ القلب أن تطفئه ظلمة المعصية، وحصولُ المخرج له مما ضاق علىٰ الفساق والفجار وتيسر الرزق عليه من حيث لا يحتسب، وتيسير ما عسر علىٰ أرباب الفسوق والمعاصي، وتسهيل الطاعات عليه، وتيسير العلم.

والثناء الحسن في الناس، وكثرة الدعاء له والحلاوة التي يكتسبها وجهه، والمهابة التي تلقي له في قلوب الناس، وانتصارهم وحميتهم له إذا أوذي وظلم، وذبهم عن عرضه إذا اغتابه مغتاب، وسرعة إجابة دعائه، وزوال الوحشة التي بينه وبين الله، وقرب الملائكة منه، وبُعد شياطين الإنس والجن منه، وتنافس الناس علىٰ خدمته وقضاء حوائجه، وخطبتهم لمودته وصحبته وعدم خوفه من الموت بل يفرح به لقدومه علىٰ ربه ولقائه له ومصيره إليه، وصغر الدنيا في قلبه وكبر الآخرة عنده، وحرصه علىٰ الملك الكبير والفوز العظيم فيها، وذوق حلاوة الطاعة، ووجد حلاوة الإيمان ودعاء حملة العرش ومن حوله من الملائكة له، وفرح الكاتبين به ودعائهم له كل وقت، والزيادة في عقله وفهمه وإيمانه

ومعرفته، وحصول محبة الله له وإقباله عليه وفرحه بتوبته، وهكذا يجازيه بفرح وسرور لا نسبة له إلىٰ فرحه وسروره بالمعصية بوجه من الوجوه.

فهذه بعض آثار ترك المعاصي في الدنيا، فإذا مات تلقَّته الملائكة بالبشرىٰ من ربه بالجنة، وبأنه لا خوف عليه ولا حزن، وينتقل من سجن الدنيا وضيقها إلىٰ روضة من رياض الجنة ينعم فيها إلىٰ يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة كان الناس في الحرِّ والعَرَقِ وهو في ظلِّ العرشِ، فإذا انصرفوا من بين يدي الله أُخذَ به ذات اليمين مع أوليائه المتقين وحزبه المفلحين، و﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١]»[(١)].

اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام راقدين، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين.

اللهم إنا نسألك من كلِّ خير خزائنه بيدك، ونعوذ بك من كلِّ شر خزائنه بيدك.

❀❀❀

(١) «الفوائد» (ص ٢٢٤).

تَعجِيلُ الفَطُورِ وَتَأخِيرُ السَّحُورِ

لقد تعددت النصوص عن النبي ﷺ في الأمر بتعجيل الفطور وتأخير السحور[١]، وتنوعت هذه النصوص في دلالتها علىٰ أهمية ذلك؛ فتارة بالأمر به، وتارة ببيان فضله وعظيم ثوابه، وتارة ببيان بعض الحِكَم العظيمة المترتبة عليه، وتارة بالنهي عن تركه، إلىٰ غير ذلك من أنواع الدلالة، ومن هذه النصوص:

ما ثبت في «الصحيحين»: أنه ﷺ قال: «**إِذَا أَقبَلَ اللَّيلُ مِن هَاهُنَا، وَأَدبَرَ النَّهَارُ مِن هَاهُنَا، وَغَرَبَت الشَّمسُ فَقَد أَفطَرَ الصَّائِمُ**»[٢].

وجاء في «سنن» أبي داود والترمذي، عن أنس رضي الله عنه قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُفطِرُ عَلَىٰ رُطَبَاتٍ قَبلَ أَن يُصَلِّيَ، فَإِن لَم تَكُن رُطَبَاتٌ فَعَلَىٰ تَمَرَاتٍ، فَإِن لَم تَكُن

(١) فائدة: الفرق بين السُّحور والسَّحور:

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «السُّحور: بالضم؛ لأن سَحورًا بالفتح اسم لما يتسحر به، وسُحور بالضم اسم للفعل، ولهذا نقول: وَضوءًا بفتح الواو اسم للماء ووُضُوء بضم الواو اسم للفعل، ونقول: طَهور اسم لما يتطهر به، وطُهور بضم الطاء اسم لفعل الطهارة. وهذه قاعدة مفيدة تعصم الإنسان من الخطأ في مثل هذه الكلمات». «الشرح الممتع» (٦/ ٤٣٣).

(٢) رواه البخاري (١٩٥٤)، ومسلم (١١٠٠) واللفظ للبخاري .

حَسَا حَسَوَاتٍ مِن مَاءٍ»[١].

وثبت عنه ﷺ أنه: «كَانَ لَا يُصَلِّي المَغرِبَ حَتَّىٰ يُفطِرَ، وَلَو عَلَىٰ شَربَةٍ مِن مَاءٍ»[٢].

وقال ﷺ: «**لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيرٍ مَا عَجَّلُوا الإِفطَارَ** »[٣].

وقال: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطرَ**»[٤].

وكان إِذَا أَفطَرَ قَالَ: «**ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابتَلَّت العُرُوقُ، وَثَبَتَ الأَجرُ إِن شَاءَ اللهُ**»[٥].

وقال ﷺ: «**هَلُمَّ إِلَىٰ الغَدَاءِ المُبَارَكِ**»[٦]؛ يَعنِي: السَّحُورَ.

وقال ﷺ: «**عَلَيكُم بِغَدَاءِ السُّحُورِ فَإِنَّهُ هُوَ الغَدَاءُ المُبَارَكُ**»[٧].

وقال ﷺ: «**السَّحُورُ أَكلُهُ بَرَكَةٌ فَلَا تَدَعُوهُ، وَلَو أَن يَجرَعَ أَحَدُكُم جُرعَةً مِن مَاءٍ؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ المُتَسَحِّرِينَ**»[٨].

---

(١) رواه أبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٩٢٢).

(٢) رواه الحاكم في «مستدركه» (١٥٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٨٥٨).

(٣) رواه أحمد في (٢١٢١٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٨٤).

(٤) رواه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨).

(٥) رواه أبو داود (٢٣٥٧)، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٠٤١).

(٦) رواه النسائي (٢١٦٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠٤٣).

(٧) رواه النسائي (٢١٦٦)، والإمام أحمد (١٧١٢٦)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٤٠٨).

(٨) رواه الإمام أحمد (١١٣٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٨٣).

وقال ﷺ: «إِنَّ السَّحُورَ بَرَكَةٌ أَعطَاكُمُوهَا اللهُ ﷻ فَلَا تَدَعُوهَا»[(١)].

وقال ﷺ: «تَسَحَّرُوا وَلَو بِجَرعَةٍ مِن مَاءٍ»[(٢)].

وقال ﷺ: «مَن أَرَادَ أَن يَصُومَ فَلْيَتَسَحَّر بِشَيءٍ»[(٣)].

وقال ﷺ: «عَجِّلُوا الإِفطَارَ، وَأَخِّرُوا السُّحُورَ»[(٤)].

وقال: «بكِّروا بالإفطار، وأخِّروا السُّحور»[(٥)].

وقال ﷺ: «ثلاث من أخلاق النبوة: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور، ووضع اليمين علىٰ الشمال في الصلاة»[(٦)].

وقال ﷺ: «إِنَّا مَعشَرَ الأَنبِيَاءِ أُمِرنَا أَن نُعَجِّلَ إِفطَارَنَا وَنُؤَخِّرَ سَحُورَنَا، وَنَضَعَ أيمَانِنَا عَلَىٰ شمائِلِنا فِي الصَّلاةِ»[(٧)].

---

(١) رواه أحمد (٢٣٠٣٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٣٦).

(٢) رواه ابن حبان (٣٤٧٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٠٧١).

(٣) رواه أحمد (١٤٩٩١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٠٥).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢١٥١٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٩٨٩).

(٥) «الكامل» لابن عدي (٦/ ٣٢٣)، و«السلسلة الصحيحة» (١٧٧٣)، و«صحيح الجامع» (٢٨٣٥).

(٦) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٦١١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٣٨).

(٧) رواه الطيالسي (٢٦٥٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١٣٢٣)، وابن حبان (١٧٧٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٨٦).

وهذه الأحاديث المتعددة والمتنوعة في الأمر بتعجيل الفطور وتأخير السحور تدل دلالة واضحة علىٰ أهمية هذا الأمر العظيم الذي غفل عنه كثير من الناس جهلًا بأهميته، وبالحِكم العظيمة التي اشتمل عليها، والآثار الحميدة التي تترتب عليه، بل لو لم يكن في تعجيل الفطر وتأخير السحور إلا محض المتابعة لرسول الله ﷺ، والاستجابة لأمره، وكونه عبادة عظيمة يتقرب فيها إلىٰ الله سبحانه لكفىٰ به سببًا في المحافظة عليه وعدم إهماله، فإن محبة الله إنما تنال بذلك كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

وقد ثبت في «سنن الترمذي»، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعجَلُهُم فِطرًا**»(١)، وذلك لحُسن متابعتهم وسرعة استجابتهم.

ثمَّ إن النبي ﷺ قد أخبر عن أكلة السحور أنها أكلة مباركة، وأن السحور غداء مبارك، وأن فيه بركة، وهذا فيه دلالة واضحة علىٰ عظيم قدر هذه الطاعة، فالبركة تكتنفها من كل جوانبها؛ بركة في الطعام، وبركة في الفعل نفسه، وبركة في الوقت، فحريٌّ بالصائم أن يتحرىٰ هذه البركة بأن يتسحر ويؤخر السحور ولو علىٰ شربة ماء إن لم يجد شيئًا يطعمه سواها.

والبركة: هي تنزل الخير الإلهي علىٰ الشيء، وزيادته، وعموم نفعه، وزيادة الأجر والثواب فيه، فما أعظم السحور وأجلَّ قدره!!

---

(١) رواه الترمذي (٧٠٠)، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب» (٦٤٩).

ومع ذلك يتغافل عنه كثير من الناس؛ إما جهلًا بفضله ومكانته، أو إيثارًا للآجل علىٰ الآجل، فيفضل النوم عليه وغالبًا ما يكون سبب ذلك السهر، والمصيبة في ذلك تعظم إن كان في أمرٍ محرَّم، نسأل الله العافية والسلامة.

ثم إن وقت السحر من أفضل الأوقات وأوفرها بركة؛ أثنىٰ الله علىٰ المستغفرين فيه، وهو وقت نزول الرب إلىٰ سماء الدنيا؛ ليغفر للمستغفرين، ويجيب الداعين، ويعطي السائلين، ويثيب العابدين بأفضل الجزاء في الدنيا ويوم الدين، فكيف يحرم الإنسان نفسه من هذا الخير في هذا الشهر العظيم شهر الطاعة والاستغفار وشهر العتق من النار!

والله وملائكته يصلُّون علىٰ المتسحرين، وصلاة الله: ثناؤه علىٰ عبده في الملأ الأعلىٰ، وصلاة الملائكة: دعاؤهم للعبد، فما أجله من شرف وفضل يناله المتسحرون.

وفي المحافظة علىٰ تعجيل الفطور وتأخير السحور محافظة علىٰ الخيرية في الناس فإنه من أسبابها، إضافة إلىٰ ما فيه من تقوية الجسد وتنشيطه وطرد الضعف والكسل عنه فترة الصيام، وجاء في بعض النصوص تصريحٌ بحكمةٍ عظيمة من حِكَم تعجيل الفطور وتأخير السحور، وتنبيه علىٰ أمر ينبغي المحافظة عليه أبدًا حتىٰ يكون هذا الدين ظاهرًا، وحتىٰ تظل هذه الأمة محافظة علىٰ خيريتها، ألا وهو: مخالفة أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، قال ﷺ: «**فَصلُ مَا بَينَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهلِ الكِتَابِ أَكلَةُ السَّحَرِ**»[(١)].

---

(١) رواه مسلم (١٠٩٦).

وقال ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطرَ؛ فَإِنَّ اليَهُودَ يُؤَخِّرُونَ**»[(١)].

وقال ﷺ: «**لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَّلَ النَّاسُ الفِطرَ؛ لِأَنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ يُؤَخِّرُونَ**»[(٢)].

فإذا أوصىٰ الشارع بمخالفة اليهود النصارىٰ في هذا الأمر والذي قد يعده بعض الناس هيِّنًا، فما بالك بالأمور العظام التي بُلِيَ كثير من الناس فيها بالتشبه بهم والسير علىٰ منهجهم ومنوالهم، كمشابهتهم في لباسهم وعاداتهم، والافتخار بمحاكاتهم حتىٰ في كلامهم ومأكلهم وشرابهم، والفرح والتلذذ بالنظر إلىٰ قبائحهم من كلام ساقط وعقائد فاسدة وصور خليعة فاضحة، ولا شك أن المشابهة الظاهرة تولد توافقًا وميلًا قلبيًّا في الباطن، والله يقول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١]، وأكثر الناس تأثرًا في هذا التشبه الشبابُ والنساءُ.

ألا فلينتبه الصائمون، وليعتبروا بهذا الشهر العظيم، وليصدُقوا مع الله ويعقدوا العزم علىٰ ترك هذا التشبُّه بأهل الكتاب؛ فإن ذلك يضر بالفرد وبالمجتمع وبالأمة جمعاء ويؤثر علىٰ الدين كله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كلامٍ له عن هذا الحديث: «وهذا نص

---

(١) رواه ابن ماجه (١٦٩٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٦٩٥).

(٢) رواه أبو داود (٢٣٥٣) ، والحاكم في «مستدركه» (١٥٧٣)، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٠٣٨).

في أن ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر لأجل مخالفة اليهود والنصارىٰ، وإذا كان مخالفتهم سببًا لظهور الدين، فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله علىٰ الدين كله، فيكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة»[(١)].

اللهم مقلب القلوب ثبت قلوبنا علىٰ دينك، ووفِّقنا لاتباع شرعك، وأعذنا من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء.

۞ ❋ ❋ ❋ ۞

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٠٩).

العَشرُ الأَوَاخِرِ مِن رَمَضَان

إن شهر رمضان المبارك شهر كله بركة ورحمة، أيامه ولياليه، وتختص عشره الأواخر بمزيد مزية علىٰ بقية أيامه ولياليه بخصائص عظيمة وفضائل جليلة اختصت بها عن غيرها، ولذلك كان النبي ﷺ وصحابته ﵃ من بعده يعظِّمون هذه العشر الأواخر، ويجتهدون فيها أكثر مما يجتهدون في غيرها.

روىٰ الإمام مسلم في «صحيحه»، عن عائشة ﵂ قالت: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجتَهِدُ فِي العَشرِ الأَوَاخِرِ مَا لَا يَجتَهِدُ فِي غَيرِهِ»(١).

وروىٰ الشيخان، عن عائشة ﵂ قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشرُ شَدَّ مِئزَرَهُ، وَأَحيَا لَيلَهُ، وَأَيقَظَ أَهلَهُ»(٢).

ومعنىٰ «**شَدَّ مِئزَرَهُ**» : أي جدَّ واجتهد في العبادة واعتزل النساء؛ فلا يلتذ في تلك الليالي إلا بمناجاة ربه والتقرب إليه، فما أباحه الله له من الجماع في ليالي رمضان يكون منشغلًا عنه بما سواه من العبادة والطاعة؛ طمعًا في أن ينال ثواب هذه العشر ويوفَّق لإدراك ليلة القدر.

(١) رواه مسلم (١١٧٥).

(٢) رواه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤) واللفظ للبخاري.

ومعنىٰ «أَحيَا لَيلَهُ»: أي: سهره منشغلًا فيه بالطاعة فأحياه بذلك، وأحيا نفسه بسهره فيه تقربًا وتضرعًا وتعبدًا لله؛ لأن النوم أخو الموت، ولا تحيا الأرواح ولا الأبدان ولا الأوقات ولا الأعمار إلا بطاعة الله، وهذه هي الحياة الحقيقية، قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام:١٢٢].

فسمىٰ هذه الأجساد مع أنها تدب في الأرض وتأكل وتشرب ميتة؛ وذلك لِبُعدها عن الإيمان والطاعة للرحمن، وانشغالها بالغيِّ والفسوق والطغيان.

ومعنىٰ «أَيقَظَ أَهلَهُ»: أي: أقامهم للصلاة وللعبادة في هذه الليالي.

وهذا من تمام حرصه علىٰ أهله وعنايته بهم أداءً لواجب الرعاية التي استرعاه الله إياها، وحرصًا منه في الدلالة علىٰ الخير، والدال علىٰ الخير كفاعله، إضافةً إلىٰ أجره الذي يكتسبه باجتهاده بنفسه، وفي ذلك أيضًا تشريع لأمته أن تحذو حذوه وتتأسىٰ به في ذلك، وفيه توجيه للآباء والأمهات، وحثٌّ لهم علىٰ العناية بتربية أبنائهم والاهتمام بهم خاصة في هذا الشهر الكريم، وتعهدهم ومراقبتهم في عبادتهم وشدة المحافظة عليهم، وتشجيعهم علىٰ المسابقة لفعل الطاعات واجتناب المنهيات، والاستعانة بوسائل الترغيب والترهيب.

قال الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَفِي الحَدِيث الحِرص عَلَىٰ مُدَاوَمَة القِيَام فِي العَشر الأَخِير إِشَارَة إِلَىٰ الحَثِّ عَلَىٰ تَجوِيد الخَاتِمَة، خَتَمَ اللهُ لَنَا بِخَيرٍ، آمِينَ»[١].

(١) «فتح الباري» (٤/ ٢٧٠).

ومما تميزت به هذه العشر: أن النبيﷺ كان يعتكف فيها، واعتكف أصحابه من بعده.

والاعتكاف: لزوم المسجد للتفرغ لطاعة الله، وهو من السنن الثابتة بالكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾ [البقرة:١٨٧].

وفي «الصحيحين»، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعتَكِفُ العَشرَ الأَوَاخِرَ مِن رَمَضَانَ حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ اعتَكَفَ أَزوَاجُهُ مِن بَعدِهِ»[١].

وقد أوضح بعض أحكام الاعتكاف العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجالسه المشهورة المختصة بشهر رمضان التي نفع الله بها كثيرًا -فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا، وتغمده بواسع رحمته، وكتب له في هذا الشهر المبارك مثل أجور كل من استفاد من هذا الكتاب وانتفع به وغيره من كتبه- ومما جاء فيه:

قوله: «والمقصود بالاعتكاف: انقطاع الإنسان عن الناس ليتفرغ لطاعة الله في مسجد من مساجده؛ طلبًا لفضله وثوابه وإدراك ليلة القدر، ولذلك ينبغي للمعتكف أن يشتغل بالذكر والقراءة والصلاة والعبادة، وأن يتجنب ما لا يَعنيه من حديث الدنيا، ولا بأس أن يتحدث قليلًا بحديثٍ مباحٍ مع أهله أو غيرهم لمصلحة؛ لحديث صفية أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعتَكِفًا فَأَتَيتُهُ

---

(١) رواه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).

أَزُورُهُ لَيلًا فَحَدَّثتُهُ ثُمَّ قُمتُ لِأَنقَلِبَ -أي: لأنصرف إلىٰ بيتي- فَقَامَ النبي ﷺ مَعِي...»[(١)].

ويحرم علىٰ المعتكف الجماع ومقدماته من التقبيل واللمس لشهوة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾.

وأما خروجه من المسجد فإن كان ببعض بدنه فلا بأس به؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُخرِجُ رَأسَهُ مِن المَسجِدِ وَهُوَ مُعتَكِفٌ فَأَغسِلُهُ وَأَنَا حَائِضٌ»[(٢)].

وفي رواية: «كَانَت تُرَجِّلُ النَّبِيَّ ﷺ وَهِيَ حَائِضٌ وَهُوَ مُعتَكِفٌ فِي المَسجِدِ وَهِيَ فِي حُجرَتِهَا يُنَاوِلُهَا رَأسَهُ»[(٣)].

وإن كان خروجه بجميع بدنه فهو ثلاثة أقسام:

الأول: الخروج لأمر لابد منه طبعًا أو شرعًا؛ كقضاء حاجة البول والغائط والوضوء الواجب والغسل الواجب لجنابة أو غيرها والأكل والشرب، فهذا جائز إذا لم يمكن فعله في المسجد، فإن أمكن فعله في المسجد فلا، مثل أن يكون في المسجد حمام يمكنه أن يقضي حاجته فيه وأن يغتسل فيه أو يكون له من يأتيه بالأكل والشرب فلا يخرج حينئذٍ لعدم الحاجة إليه.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٨١)، ومسلم (٢١٧٥).

(٢) رواه البخاري (٢٠٣١)، ومسلم (٢٩٧)، واللفظ للبخاري.

(٣) «مجالس شهر رمضان» (ص ١١٨).

الثاني: الخروج لأمر طاعة لا تجب عليه؛ كعيادة مريض وشهود جنازة ونحو ذلك، فلا يفعله إلا أن يشترط ذلك ابتداء اعتكافه، مثل أن يكون عنده مريض يجب أن يعوده أو يخشىٰ من موته فيشترط في ابتداء اعتكافه خروجه لذلك فلا بأس به.

الثالث: الخروج لأمرٍ ينافي الاعتكاف؛ كالخروج للبيع والشراء وجماع أهله ومباشرتهم ونحو ذلك، فلا يفعله لا بشرط ولا بغير شرط؛ لأنه يناقض الاعتكاف وينافي المقصود منه»[1].

ومما تميزت به هذه العشر واختصت به أن فيها ليلة القدر، قالﷺ: «**تَحَرَّوا لَيلَةَ القَدرِ فِي الوِترِ مِن العَشرِ الأَوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ**»[2].

وسيأتي الحديث عن هذه الليلة المباركة، وعن فضائلها، وأهمية اغتنامها وعدم إضاعتها في الحديث القادم إن شاء الله.

اللهم وفِّقنا للقيام بما يرضيك عنا في هذه العشر، واختم لنا شهرنا بصالح الأعمال، وتقبلها منا يا أكرم الأكرمين.

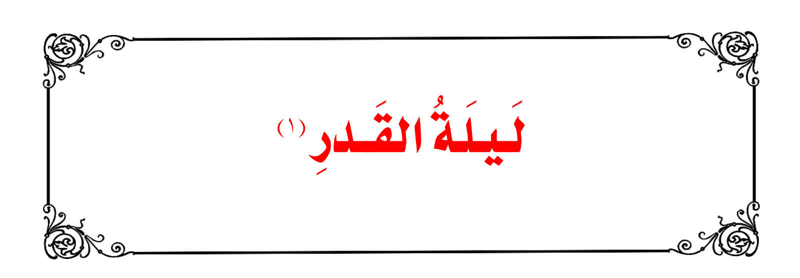
❊❊❊

---

(١) رواه البخاري (٢٠٤٦).

(٢) رواه البخاري (٢٠١٧).





لَيلَةُ القَدرِ[1]

إن الله تعالىٰ هو المتفرد بالخلق والاختيار كما قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨]، والمراد بالاختيار هنا: هو الاجتباء والاصطفاء.

فالله -جل وعلا- لكمال حكمته وقدرته، ولتمام علمه وإحاطته، يختار من خلقه ما يشاء من الأوقات والأمكنة والأشخاص فيخصهم سبحانه بمزيد فضله وجزيل عنايته ووافر إنعامه وإكرامه، وهذا بلا ريب من أعظم آيات ربوبيته، وأكبر شواهد وحدانيته وكمال صفاته، وهو من أبين الأدلة علىٰ كمال قدرته وحكمته، وأنه يخلق ما يشاء ويختار وأن أزِمَّةَ الأمور بيده؛ فلله الأمر من قبل ومن بعد ، يقضي في خلقه ما يشاء ويحكم فيهم بما يريد ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧].

وإن مما خص الله عَزَّ وَجَلَّ من الأوقات بمزيد تفضيله ووافر تكريمه شهرَ رمضان حيث فضَّله سبحانه علىٰ سائر الشهور، والعشرَ الأواخر من لياليه حيث

(١) قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسميت ليلة القدر، لعظم قدرها وفضلها عند الله، ولأنه يقدر فيها ما يكون في العام من الأجل والأرزاق والمقادير القدرية». «تيسير الكريم الرحمن» (ص٩٣١).

فضلها علىٰ سائر الليالي، وليلةَ القدر حيث جعلها لمزيد فضلها عنده وعظيم مكانتها لديه خيرًا من ألف شهر، وفخَّم أمرها وأعلىٰ شأنها ورفع مكانتها، عندما أنزل فيها وحيه المبين وكلامه الكريم وتنزيله الحكيم هدًىٰ للمتقين وفرقانًا للمؤمنين وضياء ونورًا ورحمة للعالمين.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الدخان:٣-٨].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [سورة القدر].

فلله ما أعظمَها من ليلة وما أجلَّها وأكرمَها، وما أوفرَ بركتَها:

- ليلة واحدة خير من ألف شهر! ومعنىٰ ذلك أنها خير من ثلاثين ألفَ ليلةٍ، وألفُ شهرٍ تزيد علىٰ ثلاثة وثمانين عامًا فهو عمر طويل لو قضاه المسلم كلَّه في طاعة الله ﷻ، فليلة القدر وهي ليلة واحدة خير منه وهذا فضل عظيم.

قال مجاهد: «ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في تلك الشهور ليلة القدر»، وهكذا قال قتادة والشافعي وغير واحد[1].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٤٤٣).

=



- وفي هذه الليلة الكريمة المباركة يكثر تنزل الملائكة لكثرة بركتها، فالملائكة يتنزَّلون مع تنزل البركة والرحمة كما يتنزَّلون عند تلاوة القرآن وفي حلق الذِّكر.

- وهي سلام حتىٰ مطلع الفجر؛ يعني: أنها خير كلها ليس فيها شر إلىٰ مطلع الفجر.

- وفي هذه الليلة الكريمة المباركة يُفرق كل أمر حكيم؛ أي: يقدَّر فيها ما يكون في تلك السنة بإذن الله العزيز الحكيم، والمراد بالتقدير؛ أي: التقدير السنوي، أما التقدير العام في اللوح المحفوظ فهو متقدِّم علىٰ خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كما صحت بذلك الأحاديث، وقد ثبت عن النبي ﷺ في فضل ليلة القدر أنه قال: «**مَن قَامَ لَيلَةَ القَدرِ إِيمَانًا وَاحتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ**»[1].

وليلة القدر هي قطعًا في شهر رمضان المبارك؛ لقوله تعالىٰ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة:١٨٥]، مع قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر:١].

=

قال العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: تعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها خير من العمل في ألف شهر خالية منها، وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتندهش له العقول، حيث مَنَّ -تبارك وتعالىٰ- علىٰ هذه الأمة الضعيفة القوة والقوىٰ، بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد علىٰ ألف شهر، عمر رجل معمر عمرًا طويلًا نيفًا وثمانين سنة». «تيسير الكريم الرحمن» (ص٩٣١).

(١) رواه البخاري (١٩٠١).

وهي أرجىٰ ما تكون فيه في العشر الأواخر منه؛ لقوله ﷺ: «**تَحَرَّوا لَيلَةَ القَدرِ فِي العَشرِ الأَوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ**»(١).

وطلبها في أوتار العشر آكد؛ لقول النبي ﷺ: «**التَمِسُوهَا فِي العَشرِ الأَوَاخِرِ مِن رَمَضَانَ، لَيلَةَ القَدرِ فِي تَاسِعَةٍ تَبقَىٰ، فِي سَابِعَةٍ تَبقَىٰ، فِي خَامِسَةٍ تَبقَىٰ**»(٢).

قال الإمام ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» تحت (بَابٌ تَحَرِّي لَيلَةِ القَدرِ فِي الوِترِ مِن العَشرِ الأَوَاخِرِ): «فِي هَذِهِ التَّرجَمَة إِشَارَة إِلَىٰ رُجحَان كَون لَيلَةِ القَدرِ مُنحَصِرَةً فِي رَمَضَان، ثُمَّ فِي العَشر الأَخِيرِ مِنهُ، ثُمَّ فِي أَوتَارِهِ لَا فِي لَيلَةٍ مِنهُ بِعَينِهَا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيهِ مَجمُوع الأَخبَار الوَارِدَة فِيهَا»(٣).

وقد ذكر العلماء أن من حكمة إخفائها وعدم تعيينها في النصوص: أن يجتهد المسلمون في جميع العشر بطاعة الله تعالىٰ بالتهجد وقراءة القرآن والإحسان، وليتبين بذلك النشيط والمجد في طلب الخيرات من الخامل الكسلان، ولأن الناس لو علموا عينها لاقتصر أكثرهم علىٰ قيامها دون سواها، ولو علموا عينها ما حصل كمال الامتحان.

إن الواجب علينا جميعًا أن نحرص تمام الحرص علىٰ طلب هذه الليلة المباركة؛ لنفوز بثوابها، ولنغنم من خيرها، ولنُحَصِّل من أجورها، فإن المحروم من حُرم الثواب، ومن تمر عليه مواسم المغفرة ويبقىٰ محملًا بذنوبه بسبب

---

(١) رواه البخاري (٢٠٢٠)، ومسلم (١١٦٩).

(٢) رواه البخاري (٢٠٢١)، ومسلم (١١٦٥).

(٣) «فتح الباري» (٤/ ٢٥٩).

غفلته وإعراضه وعدم مبالاته؛ فطوبىٰ لمن نال فيها سبق الفائزين، وسلك فيها بالقيام وحُسن العمل سبيل الصالحين، وويل لمن طُرِدَ في هذه الليلة عن الأبواب، وأغلق فيها دونه الحجاب، وانصرفت عنه هذه الليلة وهو مشغول بالمعاصي والآثام، مخدوع بالأماني والأحلام، مضيِّع لخير الليالي وأفضل الأيام؛ فيا عظمَ حسرته ويا شدةَ ندامته.

من لم يربح في هذه الليلة الكريمة ففي أي وقت يربح؟! ومن لم يُنِب إلىٰ الله في هذا الوقت الشريف فمتىٰ ينيب؟! ومن لم يزل متقاعسًا فيها عن الخيرات ففي أي وقت يعمل؟!

قال ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الشَّهرَ قَد حَضَرَكُم، وَفِيهِ لَيلَةٌ خَيرٌ مِن أَلفِ شَهرٍ، مَن حُرِمَهَا فَقَد حُرِمَ الخَيرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحرَمُ خَيرَهَا إِلَّا مَحرُومٌ**»(١).

ويستحب للمسلم أن يكثر فيها من الدعاء؛ لأن الدعاء فيها مستجاب، وليتخير من الدعاء أجمعه، روىٰ ابن ماجه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيتَ إِن وَافَقتُ لَيلَةَ القَدرِ مَا أَدعُو؟ قَالَ: «تَقُولِينَ: **اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفوَ فَاعفُ عَنِّي**»(٢).

فإن هذا الدعاء عظيم المعنىٰ عميق الدلالة، وهو مناسب لهذه الليلة غاية المناسبة، فهي الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، وتقدَّر فيها أعمال العباد لسنة كاملة حتىٰ ليلة القدر الأخرىٰ، فمن أعطي في تلك الليلة العافية وعفا عنه

---

(١) رواه ابن ماجه (١٦٤٤)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٣٣٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٥٠)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣١٠٥).

ربه فقد أفلح غاية الفلاح، ومن أعطي العافية في الدنيا وأعطيها في الآخرة فقد أفلح، والعافية لا يعدلها شيء؛ فلنتحرَّ خير هذه الليلة وبركتها بالمحافظة علىٰ الصلوات المفروضة، وكثرة القيام، وأداء الزكاة، وبذل الصدقات، وحفظ الصيام، وكثرة الطاعات، واجتناب المعاصي والسيئات، والندم والتوبة من الذنوب والخطيئات، والإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن.

اللهم وفقنا لقيام ليلة القدر، واجعلنا ممن يقومها إيمانًا واحتسابًا، واعف عنا إنك عفو كريم.



تَصفِيدُ الشَّيَاطِينِ فِي رَمَضَان

إن مما تميز به شهر رمضان المبارك تصفيد الشياطين ومردة الجنِّ فيه، روى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَت أَبوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَت أَبوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلسِلَت الشَّيَاطِينُ**»[(١)].

وروى أحمد والنسائي، عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**هَذَا رَمَضَانُ قَد جَاءَكُم تُفَتَّحُ فِيهِ أَبوَابُ الجَنَّةِ، وَتُغَلَّقُ فِيهِ أَبوَابُ النَّارِ، وَتُسَلسَلُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ**»[(٢)].

وروى الترمذي وابن ماجه، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيلَةٍ مِن شَهرِ رَمَضَانَ صُفِّدَت الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَت أَبوَابُ النَّارِ فَلَم يُفتَح مِنهَا بَابٌ، وَفُتِّحَت أَبوَابُ الجَنَّةِ فَلَم يُغلَق مِنهَا بَابٌ**»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وَصُفِّدَت الشَّيَاطِينُ فَضَعُفَت قُوَّتُهُم وَعَمَلُهُم بِتَصفِيدِهِم فَلَم يَستَطِيعُوا أَن يَفعَلُوا فِي شَهرِ رَمَضَانَ مَا كَانُوا يَفعَلُونَهُ

---

(١) رواه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (١٠٧٩) واللفظ للبخاري.

(٢) رواه النسائي (٢١٠٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٩٩٥).

(٣) رواه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)، واللفظ للترمذي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥٩).

فِي غَيرِهِ، وَلَم يَقُل إِنَّهُم قُتِلُوا وَلَا مَاتُوا بَل قَالَ: صُفِّدَت، وَالمُصَفَّدُ مِن الشَّيَاطِينِ قَد يُؤذِي لَكِنَّ هَذَا أَقَلُّ وَأَضعَفُ مِمَّا يَكُونُ فِي غَيرِ رَمَضَانَ؛ فَهُوَ بِحَسَبِ كَمَالِ الصَّومِ وَنَقصِهِ، فَمَن كَانَ صَومُهُ كَامِلًا دَفَعَ الشَّيطَانَ دَفعًا لَا يَدفَعُهُ دَفعُ الصَّومِ النَّاقِصِ»[١].

وكثير من الناس اليوم جهلوا أو تجاهلوا أمر الشيطان فلم يدركوا مدىٰ كيده وعداوته لبني آدم، وحرصه علىٰ إخراجهم من رحمة الله ورضوانه، وإيقاعهم في سخطه وغضبه ونيرانه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

وهي عداوة مستمرة إلىٰ يوم القيامة، وكل من انشغل في هذا الشهر الكريم بغير طاعة الله من المعاصي والذنوب واللهو واللعب والسهر وفي القيل والقال والنظر في الفضائيات وما فيها من سموم؛ فقد خلص الشيطان إليه ونال منه بغيته؛ وإن كيده لا يكاد ينحصر.

وقد ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «إغاثة اللهفان» جملة كبيرة من مكائده التي كاد بها عباد الله: «ومن كيده للإنسان: أنه يورده الموارد التي يُخيل إليه أنَّ فيها منفعته، ثم يُصدِرُه المصادر التي فيها عطبه، ويتخلىٰ عنه ويُسلِمُه ويقف يَشمَتُ به ويضحك منه، فيأمره بالسرقة والزنا والقتل ويدل عليه ويفضحه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٥/ ٢٤٦).

أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال:٤٨].

فإنه تراءىٰ للمشركين عند خروجهم إلىٰ بدر في صورة سراقة بن مالك وقال: أنا جار لكم من بني كنانة أن يقصدوا أهلكم وذراريكم بسوء، فلما رأىٰ عدوُّ الله جنود الله تعالىٰ من الملائكة نزلت لنصر رسوله فرَّ عنهم وأسلمهم كما قال حسان:

دَلَّاهُمُ بِغُرُورٍ ثُمَّ أَسْلَمَهُم ... إِنَّ الخَبِيثَ لِمَنْ وَالاهُ غَرَّارُ

وكذلك فعل بالراهب الذي قتل المرأة وولدها؛ أمره بالزنا ثم بقتلها ثم دلَّ أهلها عليه وكشف أمره لهم، ثمَّ أمره بالسجود له فلمَّا فعل فرَّ عنه وتركه، وفيه أنزل الله سبحانه: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحشر:١٦].

وهذا السياق لا يختص بالذي ذكرت عنه هذه القصة، بل هو عام في كل من أطاع الشيطان في أمره له بالكفر لينصره ويقضي حاجته، فإنه يتبرأ منه ويسلمه كما يتبرأ من أوليائه جملة في النار، ويقول لهم: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ ﴾ [إبراهيم:٢٢]، فأوردهم شرَّ الموارد وتبرأ منهم كل البراءة.

ومن كيد عدو الله تعالىٰ: أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه؛ فلا يجاهدونهم، ولا يأمرونهم بالمعروف، ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا من أعظم كيده بأهل الإيمان، وقد أخبرنا الله سبحانه عنه بهذا فقال: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥]، المعنىٰ عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه.

قال قتادة: «يعظمهم في صدوركم، ولهذا قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوفُ أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمان العبد قوي خوفه منهم».

ومن مكايده أنه يسحر العقل دائمًا حتىٰ يكيده، ولا يسلم من سحره إلا من شاء الله، فيزين له الفعل الذي يضره حتىٰ يخيل إليه أنه من أنفع الأشياء، وينفر من الفعل الذي هو أنفع الأشياء له حتىٰ يخيَّل له أنه يضره، فلا إله إلا الله!! كم فُتن بهذا السحر من إنسان، وكم حال بين القلب وبين الإسلام والإيمان والإحسان!

وكم جلا الباطل وأبرزه في صورة مستحسنة، وشنَّع الحق وأخرجه في صورة مستهجنة!

وكم بهرج من الزُّيوف علىٰ الناقدين، وكم روَّج من الزغل علىٰ العارفين! فهو الذي سحر العقول حتىٰ ألقىٰ أربابها في الأهواء المختلفة والآراء المتشعبة، وسلك بهم في سبل الضلال كل مسلك، وألقاهم من المهالك في مهلك بعد مهلك، وزين لهم من عبادة الأصنام، وقطيعة الأرحام، ووأد البنات، ونكاح الأمهات، ووعدهم الفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان، وأبرز لهم الشرك في صورة التعظيم، والكفر بصفات الرب تعالىٰ وعلوه علىٰ عرشه وتكلمه بكتبه في قالب التنزيه، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قالب التودد إلىٰ الناس وحُسن الخلق معهم والعمل بقوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة:١٠٥].

والإعراض عما جاء به الرسولﷺ في قالب التقليد والاكتفاء بقول من هو أعلم منهم، والنفاق والإدهان في دين الله في قالب العقل المعيشي الذي يندرج به العبد بين الناس.

فهو صاحب الأبوين حين أخرجهما من الجنة، وصاحب قابيل حين قتل أخاه، وصاحب قوم نوح حين أُغرِقوا، وقوم عاد حين أهلِكوا بالريح العقيم، وصاحب قوم صالح حين أهلكوا بالصيحة، وصاحب الأمة اللوطية حين خُسف بهم وأتبِعوا بالرجم بالحجارة، وصاحب فرعون وقومه حين أخِذوا الأخذة الرابية، وصاحب عبَّاد العجل حين جرىٰ عليهم ما جرىٰ، وصاحب قريش حين دعوا يوم بدر، وصاحب كل هالك ومفتون»[1].

فهذا هو العدو قد ظهرت أوصافه وبدت علاماته وملامحه، يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ويأخذ بأي طريق يتحقق له به ذلك.

قال بعض السلف: «وما أمر الله ﷻ بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصيرٌ وتفريطٌ، وإما إفراطٌ وغلوٌّ، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين»[2].

فلينظر كل واحد إلىٰ نفسه وأفعاله هل فيها استجابة للشيطان وحبائله؛ فيتدارك نفسه بالتوبة إلىٰ الله والإقلاع عما هو فيه من ضلالٍ وشرٍ ويعلن العداوة لهذا العدو اللدود، أم أنه في حماية الله وحفظه؛ فيشكر الله علىٰ ذلك

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٢٥).

(٢) «الوابل الصيب» (ص٢٤).

ويسأله الثبات ويسعىٰ في الاستزادة من فعل الصالحات، وكان النبي ﷺ يستعيذ كثيرًا بالله من الشيطان ويعلِّم أصحابه ذلك ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨].

اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه.

❊ ❊ ❊

أَدَاءُ الزِّكَاةِ وَبَذلُ الصَّدَقَات

إن رمضان هو شهر الخيرات والبركات والطاعات؛ فهو شهر الصيام، وشهر الصلاة والقيام، وشهر الذكر وتلاوة القرآن، وشهر الجود والإكرام والزكاة والصدقة والبر والإحسان، ولقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان؛ وذلك أن الصيام له ارتباط وثيق بالإنفاق والصدقة.

فإن الأغنياء عندما يمتنعون في فترة زمنية محددة عن الطعام والشراب طاعة لله ويقاسون حرَّ الجوع وألم العطش، فإن هذا يجعلهم يتذكرون إخوانًا لهم من المسلمين يقاسون هذه الآلام طيلة أيام السنة أو معظمها، فيقذف الله بسبب ذلك الرحمة في قلوبهم تجاه إخوانهم فتجود نفوسهم ببذل الأموال وإخراجها؛ سواء كانت من قبيل الزكاة الفرض، أو الصدقات والنفقات المستحبة في أوجه الخير كلها.

وفيما يتعلق بالزكاة ؛ فقد فرض الله علىٰ المؤمنين ذوي الأموال الزكوية زكاةً تُدفع للمحتاجين منهم وللمصالح العامة النفع، كما قال تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة:٦٠].

وفي القرآن آيات كثيرة في الأمر بإيتاء الزكاة والنفقة مما رزق الله، والثناء علىٰ المنفقين والمتصدقين وذكر ثوابهم، وتواترت بذلك كله الأحاديث عن النبي ﷺ، وبيَّن ما تجب فيه الزكاة من المواشي والحبوب والثمار والنقود والأموال المعدة للتجارة، وذكر أنصبتها ومقدار الواجب منها، وذكر الوعيد الشديد علىٰ مانعها؛ واتفق المسلمون علىٰ نقصان إيمان تاركها ودينه وإسلامه، وإنما اختلفوا هل يكفر تاركها أم لا؟ وفي الزكاة والصدقة والإحسان عدد من الفوائد الضرورية والكمالية والدينية والدنيوية:

منها: أنها من أعظم شعائر الدين وأكبر براهين الإيمان؛ فإنه ﷺ قال: «**وَالصَّدَقَةُ بُرهَانٌ**»[(١)]؛ أي: علىٰ إيمان صاحبها ودينه ومحبته لله إذ سَخَا لله بماله المحبوب للنفوس.

ومنها: أنها تزكِّي وتنمِّي المعطِي والمعطَىٰ والمال الذي أخرجت منه؛ أما تزكيتها للمعطي: فإنها تزكي أخلاقه وتطهره من الشح والبخل والأخلاق الرذيلة، وتنمي أخلاقه فيتصف بأوصاف الكرماء المحسنين الشاكرين، فإنها من أعظم الشكر لله، والشكر معه المزيد دائمًا، وتنمي أيضًا أجره وثوابه؛ فإن الزكاة والنفقة تضاعَف أضعافًا كثيرة بحسب إيمان صاحبها وإخلاصه ونفعها ووقوعها موقعها، وهي تشرح الصدر وتُفرِح النفس وتدفع عن العبد من البلايا والأسقام شيئًا كثيرًا، فكم جلبت من نعمة دينية ودنيوية، وكم دفعت من نقم ومكاره وأسقام، وكم خفَّفت الآلام، وكم أزالت من عداوات وجلبت من مودة

(١) رواه مسلم (٢٢٣).

وصداقات، وكم تسببت لأدعية مستجابة من قلوب صادقات.

وهي أيضًا تنمِّي المال المخرَج منه؛ فإنها تقيه الآفات وتحل فيه البركة الإلهية، قال رسول الله ﷺ: «**مَا نَقَصَت صَدَقَةٌ مِن مَالٍ**»(١). بل تزيده.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال: «**مَا مِن يَومٍ يُصبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعطِ مُنفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعطِ مُمسِكًا تَلَفًا**»(٢).

والواقع يشهد بذلك؛ فلا تكاد تجد مؤمنًا يُخرج الزكاة وينفق النفقات في محلها إلا وقد أنزل الله له البركة في ماله ويسَّر له أسباب الرزق، جاء في «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**بَينَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِن الأَرضِ؛ فَسَمِعَ صَوتًا فِي سَحَابَةٍ: اسقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّىٰ ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرجَةٌ مِن تِلكَ الشِّرَاجِ قَد استَوعَبَت ذَلِكَ المَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ المَاءَ بِمِسحَاتِهِ فَقَالَ لَهُ: يَا عَبدَ اللهِ، مَا اسمُكَ؟ قَالَ فُلَانٌ، للاسمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبدَ اللهِ، لِمَ تَسأَلُنِي عَن اسمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعتُ صَوتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسمِكَ، فَمَا تَصنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذ قُلتَ هَذَا فَإِنِّي أَنظُرُ إِلَىٰ مَا يَخرُجُ مِنهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ**».

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٢) رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).

وفي رواية له: «**وَأَجعَلُ ثُلُثَهُ فِي المَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابنِ السَّبِيلِ**»[(١)].

وأما نفعها للمعطَىٰ فإن الله تعالىٰ قد أمر بدفعها للمحتاجين من الفقراء والمساكين والغارمين وفي الرقاب وللمصالح التي يحتاج المسلمون إليها في ضوء الآية المتقدمة، فمتىٰ وُضعت في محلها اندفعت الحاجات والضرورات واستغنىٰ الفقراء أو خف فقرهم وقامت المصالح النافعة العمومية؛ فأي فائدة أعظم من ذلك وأجلّ؟!

فلو أن الأغنياء أخرجوا زكاة أموالهم ووُضعت في محلها لقامت المصالح الدينية والدنيوية وزالت الضرورات واندفعت شرور الفقراء، وكان أعظم حاجز وسد يمنع عبث المفسدين، ولهذا كانت الزكاة من أعظم محاسن الإسلام؛ لما اشتملت عليه من جلب المصالح والمنافع ودفع المضار.

ومما جاء في عقوبة تارك الزكاة قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٤-٣٥].

وروىٰ البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن آتَاهُ اللهُ مَالًا فَلَم يُؤَدِّ زَكَاتَهُ؛ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ يومَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَومَ القِيَامَةِ ثُمَّ يَأخُذُ بِلِهزِمَتَيهِ** -يَعنِي: بِشِدقَيهِ- **ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنزُكَ. ثُمَّ**

(١) رواه مسلم (٢٩٨٤).

تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ الآية [آل عمران: ١٨٠]»[1].

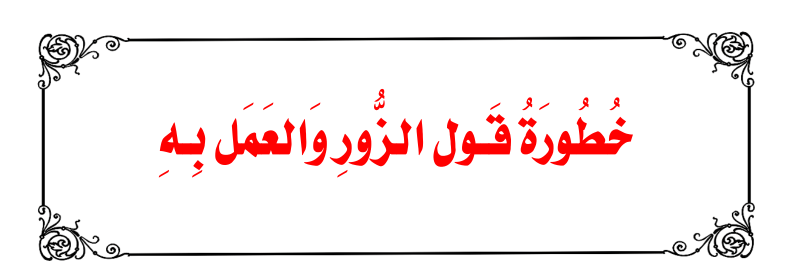
وإذا وفَّق الله العبد لإخراج زكاته أو تصدق في سبيل الله فليحذر الرياءَ والسُّمعةَ والمنَّ والأذىٰ؛ لأنها تبطل الأجر وقد تعقبه بالوزر.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

اللهم إنا نعوذ بك من مال لا يقرِّبنا إليك، ونسألك طهارة نفوسنا وقلوبنا من الشح والبخل وجميع أمراض القلوب، ونسألك أن تكتب للمنفقين والمتصدقين أجرهم وتجزِل لهم المثوبة.

❊❊❊

(١) رواه البخاري (١٤٠٣).



خُطُورَةُ قَـولِ الزُّورِ والعَمَلِ بِـهِ

روىٰ البخاري في «صحيحه»، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن لَم يَدَع قَولَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَن يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»(١).

إن الصيام إنما شرعه الله لعباده لتتهذَّب نفوسهم وتستقيم أخلاقهم وتتحقق لهم التقوىٰ وتطيب القلوب والجوارح والألسن، والمؤمن بالله يسعىٰ ويحرص علىٰ حفظ قلبه ولسانه وجوارحه مما يسخط الرب ويغضبه؛ فيسأل الله ويبذل الأسباب التي تجعل قلبه ينطوي علىٰ الإيمان والتوحيد والإخلاص وغير ذلك من أعمال القلوب الصالحة، وجوارحه متجهة إلىٰ الطاعات أو المباحات فيما تسمعه أو تبصره أو تأخذه أو تسعىٰ فيه وفيما تستخدمه وتتناوله من مأكول أو مشروب أو ملبوس أو غير ذلك، ولسانه الذي هو ترجمان القلب والمخبر عما يكِنُّه لا ينشغل إلا بما يرضي الله من ذكر واستغفار وتلاوة للقرآن وحديث مباح، والقلب هو قائد اللسان وجميع الجوارح، فبسلامته يسلم اللسان، فلا يقول إلا الخير، وتسلَم الجوارح فلا تأتي إلا الخير.

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٣).

أما ما يغضب الله من سائر المعاصي ومن الكذب وقول الزور والغيبة والنميمة والسباب والشتم وغير ذلك مما تقترفه الألسن وبقية الجوارح فإنه يفر منها فرارًا، ويخشىٰ الوقوع فيها أشد الخشية لما يعلم من خطورتها وسوء عاقبتها.

ثم إن اللسان بما يقترف من آثام هو سبب هلاك كثير من الناس وحرمانهم من الجنة ووقوعهم في النار؛ ومن هذه الآثام التي تكون سببًا للهلاك: قولُ الزور والعمل به، والغيبة، والنميمة، والسباب، والفسوق ونحوها مما هو مناهض تمام المناهضة للمصالح التي من أجلها شُرع الصوم، فمن لم يصُم لسانه عن هذه القبائح ولم يستفِد من صيامه عن المباحات الصيام عن المحرمات من الكذب وقول الزور والغيبة والنميمة والغش والسب والشتم فمتىٰ يستفيد؟!

وحصائد الألسن هي التي تورد صاحبها الموارد وتهلكه وتوبقه.

ففي آخر حديث وصية النبي ﷺ لمعاذ قال ﷺ: «**أَلَا أُخبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**»، قُلتُ: بَلَىٰ يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «**كُفَّ عَلَيكَ هَذَا**»، فَقُلتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثَكِلَتكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِم أَو عَلَىٰ مَنَاخِرِهِم إِلَّا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِم**»[(١)].

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وقال: حديث «حسن صحيح»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١٣٦).

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد بحصائد الألسنة: جزاء الكلام المحرم وعقوباته، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زرع خيرًا من قولٍ أو عمل حصد الكرامة، ومن زرع شرًّا من قولٍ أو عملٍ حصد غدًا الندامة، وظاهر حديث معاذ يدلُّ علىٰ أن أكثر ما يدخل به الناس النار النطقُ بألسنتهم، فإن معصية النطق يدخل فيها الشركُ وهو أعظم الذنوب عند الله عَزَّوَجَلَّ، ويدخل فيها القول علىٰ الله بغير علم وهو قرين الشرك، ويدخل فيه شهادة الزور التي عدَلت الإشراك بالله عَزَّوَجَلَّ، ويدخل فيها السحر والقذف، وغير ذلك من الكبائر والصغائر كالكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي الفعلية لا يخلو غالبًا من قول يقترن بها يكون معينًا عليها»[(١)].

والواجب علينا جميعًا أن نحذر في شهرنا هذا وفي سائر أوقاتنا قول الزور وشهادة الزور والغيبة والنميمة، وأن نحفظ ألسنتنا من كل قول محرم وقبيح؛ لأن حصائد الألسن وخيمة وعقوبتها عند الله عظيمة.

أما قول الزور: فقد قرنه الله سبحانه بالشرك بالله في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

روىٰ الإمام أحمد والترمذي: أن رسول الله ﷺ قام خطيبًا فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَدَلَت شَهَادَةُ الزُّورِ إِشرَاكًا بِاللهِ** -ثَلَاثًا-. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾»[(٢)].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص ١٤٧).

(٢) رواه أحمد (١٧٦٠٣)، والترمذي (٢٢٩٩)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٣٨٧).

وفي «الصحيحين»، عن أبي بكرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلَا أُنَبِّئُكُم بِأَكبَرِ الكَبَائِرِ** -ثَلَاثًا- قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **الإِشرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الوَالِدَينِ** وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: **أَلَا وَقَولُ الزُّورِ**، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّىٰ قُلنَا: لَيتَهُ سَكَتَ»[1].

وأما الغيبة: فقد قال الله عنها: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات:١٢].

وأما النميمة: فقد قالﷺ: «**لَا يَدخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ**»[2]؛ أي: نمام.

وأما الكذب فإنه أساس كل فجور، قال النبيﷺ: «**إِنَّ الكَذِبَ يَهدِي إِلَىٰ الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهدِي إِلَىٰ النَّارِ**»[3]؛ لأنه يَجُرُّ إلىٰ كل المعاصي التي يقترفها اللسان وتقترفها الجوارح الأخرىٰ، فكل عمل صالح -ظاهر أو باطن- فمنشؤه الصدق، وكل عمل فاسد -ظاهر أو باطن- فمنشؤه الكذب، والله تعالىٰ يعاقب الكذَّاب بأن يقعده ويثبطه عن مصالحه ومنافعه، ويثيب الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته، فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق، ولا مفاسدهما ومضارهما بمثل الكذب، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

فالواجب علىٰ المسلم أن يصون لسانه من ذلك كله ليحقق إسلامه وليكمِّل

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥٤، ٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

(٣) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

إيمانه وليصون دينه ولينال دخول الجنة والنجاة من النار؛ فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**المُسلِمُ مَن سَلِمَ المُسلِمُونَ مِن لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»[(١)].

وقال ﷺ: «**مَن كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَليَقُل خَيرًا أَو لِيَصمُت**»[(٢)].

وروى البخاري في «صحيحه»، عن سهل بن سعد، عن رسول الله ﷺ قال: «**مَن يَضمَن لِي مَا بَينَ لَحيَيهِ وَمَا بَينَ رِجلَيهِ أَضمَن لَهُ الجَنَّةَ**»[(٣)].

والمراد بذلك: اللسان والفرج.

وفي «الصحيحين» واللفظ لمسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ العَبدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهوِي بِهَا فِي النَّارِ أَبعَدَ مَا بَينَ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ**»[(٤)].

وروى مسلم في «صحيحه»، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**أَتَدرُونَ مَا المُفلِسُ؟**» قَالُوا: المُفلِسُ فِينَا مَن لَا دِرهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ المُفلِسَ مِن أُمَّتِي يَأتِي يَومَ القِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأتِي قَد شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا؛ فَيُعطَىٰ هَذَا مِن حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِن حَسَنَاتِهِ، فَإِن فَنِيَت حَسَنَاتُهُ قَبلَ أَن يُقضَىٰ مَا عَلَيهِ أُخِذَ مِن خَطَايَاهُم**

---

(١) رواه البخاري (١٠)، ومسلم (٤١).

(٢) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

(٣) رواه البخاري (٦٤٧٤).

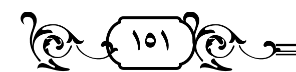
(٤) رواه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

فَطُرِحَت عَلَيهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[١].

نسأل الله العافية والسلامة، ونسأله سبحانه أن يحفظ علينا ألسنتنا وسائر جوارحنا، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا.

❊❊❊

(١) رواه مسلم (٢٥٨١).





الجَنَّةُ دَارُ الْمَتَّقِينَ

روىٰ البخاري ومسلم، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ؛ فُتِّحَت أَبوَابُ الجَنَّةِ وَغُلِّقَت أَبوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلسِلَت الشَّيَاطِينُ**»(١).

إن الجنة هي رحمة الله التي يرحم بها من يشاء من عباده، وهي دار السلام، دار الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، تجري من تحتها الأنهار، قصورها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، وخيامها اللؤلؤ المجوف، وهي نور يتلألأ، وريحانة تهتز، ونهر مطرد، وفاكهة وخضرة، وزوجات حِسان، فيها السدر المخضود، والطلح المنضود، والظل الممدود، والماء المسكوب، أهلها يأكلون فيها ويتنعمون، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون ولا يبولون بل مسك يَرشح، يحيَون ولا يموتون، ويشبُّون ولا يهرمون، وجوههم مسفرة، ضاحكة مستبشرة، فيها الجمال المبين، فيها الأزواج من الحور العين، كل نعيمها دائم، وكل شيء فيها بَاسَم، فيها يرفع الحجاب وينظرون إلىٰ وجه العزيز الوهاب.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٧٧)، ومسلم (١٠٧٩)، واللفظ للبخاري.

ومهما أراد الواصفون المبدعون أن يصفوا كُنْهَ الجنة ونعيمها ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلًا، فهي فوق ما يتخيله الخيال، وأعلىٰ مما يخطر بالبال.

روىٰ البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ عز وجل: أَعدَدتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَينٌ رَأَت، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَت، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلبِ بَشَرٍ، فَاقرَءُوا إِن شِئتُم: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾** [السجدة:١٧]»[١].

وإن أهل الجنة يدخلونها زمرًا زمرًا، قال تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ [الزمر:٧٣].

وثبت في الصحيحين، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَوَّل زُمرَةٍ يَدخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُم عَلَىٰ أَشَدِّ كَوكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمتَخِطُونَ وَلَا يَتفُلُونَ، أَمشَاطُهُم الذَّهَبُ، وَرَشحُهُم المِسكُ وَمَجَامِرُهُم الأَلُوَّةُ، وَأَزوَاجُهُم الحُورُ العِينُ، أَخلَاقُهُم عَلَىٰ خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ صُورَةِ أَبِيهِم آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ**»[٢].

وقد ثبت في السنة أن للجنة ثمانية أبواب؛ روىٰ الإمام أحمد في «مسنده» من حديث لقيط بن عامر عندما خرج وافدًا إلىٰ النبي ﷺ وفيه: «**وَإِنَّ لِلجَنَّةِ**

(١) رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤)، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤).

لَثَمَانِيَةَ أَبوَابٍ، مَا مِنهُمَا بَابَانِ إِلَّا يَسِيرُ الرَّاكِبُ بَينَهُمَا سَبعِينَ عَامًا»[(١)].

ومن هذه الأبواب باب الريان الذي لا يدخل منه إلا الصائمون، وقد تقدم في حلقات ماضية الحديث عنه وذكر الأدلة عليه، وأما بقية أبوابها فقد سمي بعضها.

ففي الصحيحين، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أَنفَقَ زَوجَينِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِيَ مِن أَبوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبدَ اللهِ، هَذَا خَيرٌ، فَمَن كَانَ مِن أَهلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِن بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَن كَانَ مِن أَهلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِن بَابِ الجِهَادِ، وَمَن كَانَ مِن أَهلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِن بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَن كَانَ مِن أَهلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِن بَابِ الصَّدَقَةِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكرٍ ﵁: بِأَبِي أَنتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَىٰ مَن دُعِيَ مِن تِلكَ الأَبوَابِ مِن ضَرُورَةٍ فَهَل يُدعَىٰ أَحَدٌ مِن تِلكَ الأَبوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «**نَعَم، وَأَرجُو أَن تَكُونَ مِنهُم**»[(٢)].

قال الإمام ابن القيم ﵀: «لما سمت همة الصِّدِّيق إلىٰ تكميل مراتب الإيمان، وطمعت نفسه أن يُدعىٰ من تلك الأبواب كلها، فسأل رسول الله ﷺ هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسعىٰ في العمل الذي ينال به ذلك، فأخبره بحصوله وبشره بأنه من أهله وكأنه قال: هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعىٰ يوم القيامة من أبوابها كلها؟ فلله ما أعلىٰ هذه الهمة وأكبر هذه النفس!»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (١٦١٥٥).

(٢) رواه البخاري (٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).

(٣) «حادي الأرواح» (ص ٢٢٢).

وقال الإمام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فِي الحَدِيث إِشعَار بِقِلَّةِ مَن يُدعَىٰ مِن تِلكَ الأَبوَاب كُلِّهَا، وَفِيهِ إِشَارَة إِلَىٰ أَنَّ المُرَاد مَا يُتَطَوَّع بِهِ مِن الأَعمَال المَذكُورَة لَا وَاجِبَاتها لِكَثرَةِ مَن يَجتَمِع لَهُ العَمَل بِالوَاجِبَاتِ كُلِّهَا، بِخِلَافِ التَّطَوُّعَات فَقَلَّ مَن يَجتَمِع لَهُ العَمَل بِجَمِيعِ أَنوَاع التَّطَوُّعَات، ثُمَّ مَن يَجتَمِع لَهُ ذَلِكَ إِنَّمَا يُدعَىٰ مِن جَمِيع الأَبوَاب عَلَىٰ سَبِيل التَّكرِيم لَهُ، وَإِلَّا فَدُخُوله إِنَّمَا يَكُون مِن بَاب وَاحِد، وَلَعَلَّهُ بَاب العَمَل الَّذِي يَكُون أَغلَب عَلَيهِ، وَاللهُ أَعلَمُ»[1].

وأهل الجنة لذاتهم لا تنفد ونعيمهم لا ينقطع ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

وإن أعلىٰ ما يتنعم به أهل الجنة وألذه علىٰ الإطلاق رؤيتهم الله -تبارك وتعالىٰ- ونظرهم إليه في الجنة، قال تعالىٰ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]، وقد فُسِّرت الزيادة والمزيد: برؤيته سبحانه في الجنة.

ففي «صحيح مسلم»، عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-: تُرِيدُونَ شَيئًا أَزِيدُكُم؟ فَيَقُولُونَ: أَلَم تُبَيِّض وُجُوهَنَا؟! أَلَم تُدخِلنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِن النَّارِ؟! قَالَ: فَيَكشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعطُوا شَيئًا أَحَبَّ إِلَيهِم مِن النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِم** عَزَّوَجَلَّ. -ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ:- ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾»[2].

---

(١) «فتح الباري» (٧/ ٣٥).

(٢) رواه مسلم (١٨١).

والجنة هي سلعة الله الغالية لا تنال بالتمني، وإنما تنال بتوحيد الله والإيمان والأعمال الصالحة؛ وهذا ما دلَّ عليه القرآن والسنة الصحيحة، وأعمالهم كثيرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَمَلُ أَهلِ الجَنَّةِ: الإِيمَانُ وَالتَّقوَىٰ، وَعَمَلُ أَهلِ النَّارِ: الكُفرُ وَالفُسُوقُ وَالعِصيَانُ.

فَأَعمَالُ أَهلِ الجَنَّةِ: الإِيمَانُ بِاَللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوم الآخِرِ وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ وَالشَّهَادَتَانِ: شَهَادَةُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصَومُ رَمَضَانَ وَحَجُّ البَيتِ، وَأَن تَعبُدَ اللهَ كَأَنَّك تَرَاهُ فَإِن لَم تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك.

وَمِن أَعمَالِ أَهلِ الجَنَّةِ: صِدقُ الحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الأَمَانَةِ، وَالوَفَاءُ بِالعَهدِ، وَبِرُّ الوَالِدَينِ، وَصِلَةُ الأَرحَامِ، وَالإِحسَانُ إِلَىٰ الجَارِ وَاليَتِيمِ وَالمِسكِينِ وَالمَملُوكِ مِن الآدَمِيِّينَ وَالبَهَائِمِ.

وَمِن أَعمَالِ أَهلِ الجَنَّةِ: الإِخلَاصُ لِلَّهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيهِ، وَالمَحَبَّةُ لَهُ وَلِرَسُولِهِ، وَخَشيَةُ اللهِ، وَرَجَاءُ رَحمَتِهِ، وَالإِنَابَةُ إِلَيهِ، وَالصَّبرُ عَلَىٰ حُكمِهِ، وَالشُّكرُ لِنِعَمِهِ.

وَمِن أَعمَالِ أَهلِ الجَنَّةِ: قِرَاءَةُ القُرآنِ، وَذِكرُ اللهِ وَدُعَاؤُهُ وَمَسأَلَتُهُ وَالرَّغبَةُ إِلَيهِ.

وَمِن أَعمَالِ أَهلِ الجَنَّةِ: الأَمرُ بِالمَعرُوفِ وَالنَّهيُ عَن المُنكَرِ، وَالجِهَادُ فِي

سَبِيلِ اللهِ لِلكُفَّارِ وَالمُنَافِقِينَ.

وَمِن أَعمَالِ أَهلِ الجَنَّةِ: أَن تَصِلَ مَن قَطَعَك وَتُعطِيَ مَن حَرَمَك وَتَعفُوَ عَمَّن ظَلَمَك؛ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ الجَنَّةَ لِلمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيظَ وَالعَافِينَ عَن النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحسِنِينَ.

وَمِن أَعمَالِ أَهلِ الجَنَّةِ: العَدلُ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ وَعَلَىٰ جَمِيعِ الخَلقِ حَتَّىٰ الكُفَّارِ. وَأَمثَالُ هَذِهِ الأَعمَالِ»[١].

فليبادرْ كلُّ من عرف الجنة ونعيمها إلىٰ المسابقة والمنافسة لتحصيلها والفوز بها؛ فأبوابها مشرعة ومناراتها واضحة وسُبلها بيِّنة.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرَّب إليها من قولٍ وعمل.

❀❀❀

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٤٢٢).



النَّارُ دَارُ الفُجَّارِ

روى الإمام أحمد، عَن أَبِي هُرَيرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَحِصنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ**»(١).

وعن عُثمَانَ بن أَبِي العَاصِ الثَّقَفِي قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، كَجُنَّةِ أَحَدِكُم مِنَ القِتَالِ**»(٢).

وعَن جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَالَ رَبُّنَا** ﷻ: **الصِّيَامُ جُنَّةٌ يَستَجِنُّ بِهَا العَبدُ مِنَ النَّارِ، وَهُوَ لِي وَأَنَا أَجزِي بِهِ**»(٣).

وعَن أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَن صَامَ يَومًا فِي سَبِيلِ اللهِ بَاعَدَهُ اللهُ مِن جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ سَبعِينَ خَرِيفًا**»(٤).

والأحاديث في هذا الباب عديدة، وقد مرَّ معنا أن أبواب النار في شهر رمضان تغلق.

---

(١) رواه أحمد (٩١٩٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٩٨٠).

(٢) رواه ابن ماجه (١٦٣٩)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٣٢٨).

(٣) رواه أحمد (١٤٦٦٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٦٧).

(٤) رواه أحمد (٨٣٣٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٣٤٣).

والنار -أجارنا الله منها- هي دار الذل والهوان والعذاب والخذلان، صوتها الشهيق والزفير، وصوت أهلها الصراخ والعويل، أنينهم وعبراتهم لا تنقطع، هم في بؤسٍ دائم وشقاء مستمر وندامة وبكاء، الأغلال والسلاسل تجمَع بين أيديهم وأعناقهم، يُسحبون علىٰ وجوههم في الحميم ثم في النار يسجرون، لها ظلل من النار تضطرم من تحتهم ومن فوقهم، هواها السموم، وشراب أهلها الحميم ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج:٢٠].

وطعامهم الزقوم ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان:٤٥-٤٦].

يدعون فيها بالموت فلا يُجابون، ويسألون الله أن يخرجهم منها ويَعِدُون بعدم العود إلىٰ ما كانوا فيه من غي وضلال فيقول لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨].

ويطلبون من الملائكة الشفاعة أن يخفف الله عنهم العذاب ولو يومًا منه فيقولون لهم: ﴿فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ [غافر:٥٠].

أخف أهلها عذابًا رجل توضع جمرتان في أخمص قدميه يغلي منهما دماغه، أهلها في دركات نازلة بحسب قبح أعمالهم؛ ففيها الكفار والمشركون والمنافقون، وفيها العصاة والزناة والفاسقون، ليس بين أهلها إلا اللوم والعتاب واللعن ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف:٣٨]، لا نجاة للأتباع ولا للمتبوعين، لا يستطيعون إنقاذ أنفسهم من العذاب ولا إنقاذ أتباعهم، إمامهم فيها إبليس يخطبهم ويتبرأ منهم، ما لهم فيها من شافعين ولا صديق حميم.

فيا ندامة من كان من أهلها، ويا خسارة من دخلها، يُساق أهلها إليها سوقًا عنيفًا بإذلالٍ وتحقير، ويرِدونها عطاشًا، ويحشرون فيها صمًّا وبكمًا وعميًا، لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم من أهل النار يدخلون منه، وهذه الأبواب تغلق علىٰ أصحابها فلا يستطيعون الخروج منها ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ [البلد:٢٠]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «مغلقة الأبواب»[١].

والنار حرُّها شديد، وقعرها بعيد؛ روىٰ البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اشتَكَت النَّارُ إِلَىٰ رَبِّهَا فَقَالَت: رَبِّ: أَكَلَ بَعضِي بَعضًا؛ فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَينِ: نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِن الحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِن الزَّمهَرِيرِ**»[٢].

وروىٰ البخاري ومسلم واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَارُكُم هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابنُ آدَمَ جُزءٌ مِن سَبعِينَ جُزءًا مِن حَرِّ جَهَنَّمَ**»، قَالُوا: وَاللهِ إِن كَانَت لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**فَإِنَّهَا فُضِّلَت عَلَيهَا بِتِسعَةٍ وَسِتِّينَ جُزءًا كُلُّهَا مِثلُ حَرِّهَا**»[٣].

ومن يدخل الجنة لا يشعر بما مر به من بؤس وشقاء، ومن يدخل النار لا يشعر بما مر به من نعيم وهناء.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٤٠٩).

(٢) رواه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧).

(٣) رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

روىٰ مسلم في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتَىٰ بِأَنعَمِ أَهلِ الدُّنيَا مِن أَهلِ النَّارِ يَومَ القِيَامَةِ فَيُصبَغُ فِي النَّارِ صَبغَةً ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابنَ آدَمَ، هَل رَأَيتَ خَيرًا قَطُّ؟ هَل مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ، وَيُؤتَىٰ بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤسًا فِي الدُّنيَا مِن أَهلِ الجَنَّةِ فَيُصبَغُ صَبغَةً فِي الجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابنَ آدَمَ، هَل رَأَيتَ بُؤسًا قَطُّ؟ هَل مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيتُ شِدَّةً قَطُّ»(١).

وأما وقود جهنم فهو الناس والحجارة، قال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤].

قال ابن جرير: فإن قال قائل: وكيف خُصَّت الحجارة فقُرِنَت بالناس حتىٰ جُعِلت لنار جهنم حطبًا؟ قيل: إنها حجارة الكبريت وهي أشد الحجارة فيما بلغنا حرًّا إذا أحميت.. وروىٰ بإسناده إلىٰ ابن مسعود ﷺ في قوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ﴾ قال: هي حجارة من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدُّها للكافرين(٢).

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ **في شأن هذه الحجارة**: «وخُصَّت بذلك لأنها تزيد علىٰ جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب:

١- سرعة الاتقاد.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٠٧).

(٢) «جامع البيان في تأويل القرآن» (١/ ٣٨١).

٢- نتن الرائحة.

٣- كثرة الدخان.

٤- شدة الالتصاق بالأبدان.

٥- قوة حرِّها إذا حَمِيَت»[(١)].

النار لا يستطيع الإنسان وصفها ولا وصف عذابها، وإنما يكتفي بما أخبر الله به ورسولهﷺ عنها، فعذابها فوق ما يخطر بالبال، وأعظم مما يتخيله الخيال.

والنار هي عذاب الله يعذب بها من يشاء ممن يستحق العذاب من عباده، ولا يدخلها أهلها إلا بسبب أعمالهم التي عملوها، وبذنوبهم وآثامهم التي ارتكبوها وهي كثيرة.

وقد عدَّدَ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة من أعظم أسبابها فقال: «وأما عمل أهل النار: فمثل الإشراك بالله، والتكذيب بالرسل، والكفر، والحسد، والكذب، والخيانة، والظلم، والفواحش، والغدر، وقطيعة الرحم، والجبن عن الجهاد، والبخل، واختلاف السر، والعلانية، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والجزع عند المصائب، والفخر والبطر عند النعم، وترك فرائض الله، واعتداء حدوده، وانتهاك حرماته، وخوف المخلوق دون الخالق، ورجاء المخلوق دون الخالق، والتوكل علىٰ المخلوق دون الخالق، والعمل رياء وسمعة، ومخالفة الكتاب والسنة، وطاعة المخلوق في معصية الخالق، والتعصب

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ٢٣٥).

بالباطل، والاستهزاء بآيات الله، وجحد الحق، والكتمان لما يجب إظهاره من علم وشهادة.

ومن عمل أهل النار: السحر، وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات، الغافلات المؤمنات»[1].

اللهم إنا نعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول أو عمل، اللهم أعتق رقابنا من النار في هذا الشهر يا رب العالمين.

❊❊❊

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٤٢٣).



الصيام وتعظيم الله تعالى

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَومُ صَومِ أَحَدِكُم فَلَا يَرفُث يَومَئِذٍ وَلَا يَسخَب؛ فَإِن سَابَّهُ أَحَدٌ أَو قَاتَلَهُ فَليَقُل إِنِّي امرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطيَبُ عِندَ اللهِ يَومَ القِيَامَةِ مِن رِيحِ المِسكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرحَتَانِ يَفرَحُهُمَا: إِذَا أَفطَرَ فَرِحَ بِفِطرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَومِهِ»[١].

وفي رواية لمسلم: «كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ يُضَاعَفُ؛ الحَسَنَةُ عَشرُ أَمثَالِهَا إِلَىٰ سَبعِمِائَةِ ضِعفٍ، قَالَ اللهُ ﷻ: إِلَّا الصَّومَ فَإِنَّهُ لِي، يَدَعُ شَهوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِن أَجلِي»[٢].

إن الله -تفضلًا منه وإكرامًا- لعباده يضاعف لهم الحسنات أضعافًا مضاعفة؛ الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف علىٰ ما يفعلونه ويقومون به من الطاعات من أداء للواجبات وترك للمحرمات وترفُّع عن المكروهات

---

(١) رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (١١٥١).

ومنافسة ومسابقة في النوافل والمستحبات، أما الصوم فإن الله قد نسبه إليه تشريفًا لشأنه ورفعًا لقدره ومنزلته عنده ولم يخبر بثوابه وأجره واكتفىٰ بقوله: «**وَأَنَا أَجزِي بِهِ**» فما ظنك بجزاء الله وعظيم تفضله لعباده الصائمين؟!

وليس أحدٌ من الناس يمكنه أن يحدِّد هذا الجزاء ولكن إذا عرفوا هذا الإله المتفضل والرب المكرم عرفوا عظم أجره وثوابه الذي يفرح بسببه العبد فرحتين، فالله سبحانه هو الحي القيوم، الكبير المتعال، ذو الكبرياء والعظمة، وهو القوي العزيز، الغني الحميد، ذو الجلال والإكرام، لا يعجزه شيء، ولا شيء يثقله أو يكرثه، ولا يحتاج لأحدٍ ليرفعه أو يزيده، ولا يخشىٰ أحدًا يضره أو ينقصه، له القوة جميعًا، وله الغنىٰ المطلق، لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، ولا ينقص خزائنه نفقاته التي أعطاها ويعطيها السائلين وغير السائلين منذ خلق السموات والأرض وإلىٰ يوم لقائه، الكل فقير إليه إنسهم وجنَّهم، حيوانهم ونباتهم، حجرهم ومدرهم، حيهم وميتهم، من في الأرض ومن في السماء وما بينهما: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴾ [النحل: ٤٩-٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾ [الحج: ١٨].

والله ذو المنِّ والعطاء والهبات العظيمة ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠]، تفضل علىٰ عباده بالهداية إلىٰ هذا الدين وأكرمهم ببعثة محمد ﷺ

وشرفهم بإنزال القرآن في شهر رمضان هدىٰ للناس وبينات من الهدىٰ والفرقان ليخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، وكتب لهم الأجور العظيمة جزاءً لما يقومون به من واجبات ويجتنبونه من منهيات ومحرمات، وأفعالهم التي يقومون بها لا تعدل شيئًا إذا قوبلت بنعمه علىٰ خلقه؛ ولكنه محض تفضله سبحانه وإكرامه لعباده؛ فهو الذي خلق وهو الذي هدىٰ ووفَّق وهو الذي يعين ويكلأ، وهو الذي يثيب ويكرم بأفضل الجزاء وأكمله، فما أعظمه وما أجله وأكرمه وما أرحمه وأحلمه، يأمر بالقليل ويجازي بالكثير.

والصائم تقرب إلىٰ الله بطاعةٍ عظيمة عنده، محبوبة إليه، السر فيها بينه وبين عبده أكثر من العلن، يظهر فيها كمال الإخلاص والخشية والمراقبة وجمالها، فالصائم جمَعَ بين جمال الظاهر والباطن، فسكنت جميع جوارحه لله والتزمت أمره وامتلأ قلبه حبًّا لله وإخلاصًا، والله جميل يحب الجمال؛ فيحب من عبده أن يجمِّل لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه، وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والأوساخ والشعور المكروهة والختان وتقليم الأظافر، فيعرفه بصفات الجمال، ويتعرف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة، فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه(١).

والعبد كلما عظمت معرفته بالله وعلمه به في نفسه ازداد تعلقه بربه وشوقه إليه، وامتلأ قلبه طمعًا ورغبة ورجاء في رضاه وثوابه وجنته، وخشيةً وخوفًا من

---

(١) انظر: «الفوائد» (ص ٢٦٧).

غضبه وعقابه، والناس يتفاوتون في هذه المعرفة وهذا العلم.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من الناس من يعرف الله بالجود والإفضال والإحسان، ومنهم من يعرفه بالعفو والحلم والتجاوز، ومنهم من يعرفه بالبطش والانتقام، ومنهم من يعرفه بالعلم والحكمة، ومنهم من يعرفه بالعزة والكبرياء، ومنهم من يعرفه بالرحمة والبِرِّ واللطف، ومنهم من يعرفه بالقهر والملك، ومنهم من يعرفه بإجابة دعوته وإغاثة لهفته وقضاء حاجته.

وأعم هؤلاء معرفة: مَن عرفه من كلامه؛ فإنه يعرف ربًّا قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال، منزه عن المثال، بريء من النقائص والعيوب، له كل اسم حسن وكل وصف كمال، فعال لما يريد، فوق كل شيء، ومع كل شيء، وقادر علىٰ كل شيء، ومقيم لكل شيء، آمرٌ ناهٍ متكلمٌ بكلماته الدينية والكونية، أكبر من كل شيء، وأجمل من كل شيء، أرحم الراحمين، وأقدر القادرين، وأحكم الحاكمين. فالقرآن أنزل لتعريف عباده به، وبصراطه الموصل إليه، وبحال السالكين بعد الوصول إليه[1].

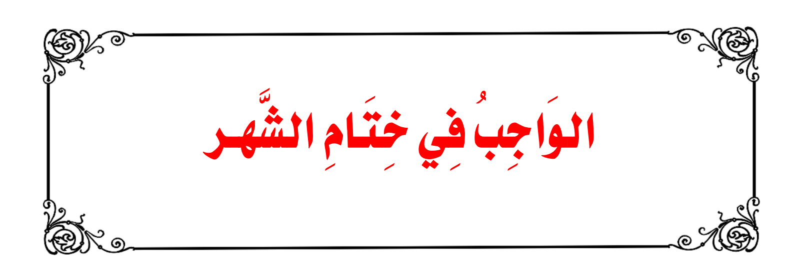
والصائمون هم أحق الناس بمعرفة الله وتوقيره؛ لينالوا وافر العطاء وعظيم الجزاء يوم القيامة، والصائم كلما ازداد معرفةً بالله ازداد قربًا منه، وعظم الله أجره لما اجتمع له من فضل الصيام الذي يجزي الله به، وهذه المعرفة التي جعلته يتقن صيامه ويحسن أعماله ويعبد الله كأنه يراه؛ فيراقبه في سره وخلوته كمراقبته له في علانيته؛ فاستوىٰ سره وعلنه لكمال علمه واعتقاده برؤية الله له،

(١) «الفوائد» (ص ٢٥٨).

وهذا يثمر له تعظيمًا لربه، وحياءً منه، وصلاحًا في جميع أعماله، وتوبة وخشوعًا لله في كل أوقاته.

اللهم تقبل صيامنا واجعله خالصًا لوجهك، ووفِّقنا للإخلاص في جميع أعمالنا، وجنِّبنا الرياء والنفاق وسيئ الأخلاق.





الوَاجِبُ فِي خِتَامِ الشَّهر

لقد كانت أيام هذا الشهر الكريم معمورة بالصيام والذكر وتلاوة القرآن، ولياليه منيرة مضيئة بالصلاة والقيام، لقد مضت تلك الأيام الغرر وانتهت تلك الليالي الدرر وكأنما هي ساعة من نهار، فنسأل الله أن يخلف علينا ما مضىٰ منها بالبركة فيما بقي، وأن يتمَّ لنا شهرنا الكريم بالرحمة والمغفرة والعتق من النار، وأن يعيده علينا أعوامًا عديدة ونحن نتمتع باليُمن والإيمان والسلامة والإسلام.

إن الله شرع لعباده في ختام هذا الشهر عباداتٍ جليلة يزداد بها إيمانهم وتُقرِّبهم إلىٰ ربهم وتكمل بها عبادتهم وتتم بها نعمة ربهم عليهم، من أهمها: زكاة الفطر، والتكبيرُ عند إكمال عدة الصيام، وصلاة العيد.

* **أما زكاة الفطر**: فقد فرضها رسول الله ﷺ صاعًا من طعام، ففي «الصحيحين» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطرِ صَاعًا مِن تَمرٍ أَو صَاعًا مِن شَعِيرٍ، عَلَىٰ العَبدِ وَالحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالأُنثَىٰ وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ المُسلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَن تُؤَدَّىٰ قَبلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَىٰ الصَّلَاةِ»(١).

وفي «الصحيحين» أيضًا، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كُنَّا نُخرِجُ فِي

(١) رواه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٢٣٢٥).

عَهدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يومَ الفِطرِ صَاعًا مِن طَعَامٍ، وَكَانَ طَعَامَنَا الشَّعِيرُ وَالزَّبِيبُ وَالأَقِطُ وَالتَّمرُ»[(١)].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطرِ طُهرَةً لِلصَّائِمِ مِن اللَّغوِ وَالرَّفَثِ وَطُعمَةً لِلمَسَاكِينِ، فَمَن أَدَّاهَا قَبلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقبُولَةٌ، وَمَن أَدَّاهَا بَعدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِن الصَّدَقَاتِ»[(٢)].

ويجب أن يخرجها المسلم عن نفسه وعمن تلزمه نفقته من زوجة وأولاد وسائر من ينفق عليهم، ولا يجب إخراجها عن الحمل الذي في البطن، ولكن يخرجها عنه من باب الاستحباب، ويخرجها في البلد الذي وافاه تمام الشهر فيه، وإن كان من يلزمه أن يخرج عنهم زكاة الفطر في بلد وهو في بلد آخر، فإنه يخرج فطرتهم مع فطرته في البلد الذي هو فيه، ويجوز أن يفوِّضهم في إخراجها عنه وعنهم في بلدهم.

ووقت إخراجها يبدأ بغروب الشمس من ليلة العيد ويستمر إلىٰ صلاة العيد، ويجوز تعجيلها قبل العيد بيوم أو يومين -أي: في اليوم الثامن والعشرين، واليوم التاسع والعشرين- وقبل ذلك لا يجوز. وتأخير إخراجها إلىٰ صباح العيد قبل الصلاة أفضل، وإن أخَّر إخراجها عن صلاة العيد من غير عذرٍ أثم، ويلزمه إخراجها ولو تأخرت عن يوم العيد ويكون ذلك قضاءً.

---

(١) رواه البخاري (١٥١٠)، ومسلم (٢٣٣١).

(٢) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٥٧٠).

والمستحق لزكاة الفطر هو المستحق لزكاة المال؛ فيدفعها إليه أو إلىٰ وكيله في وقت الإخراج.

ومقدار صدقة الفطر عن الشخص الواحد: صاع من البر أو الشعير أو التمر أو الزبيب أو الأقط، فيُخرِج من هذه الأصناف ما كان معتادًا أكله في البلد، وكذلك يخرج من غيرها مما يغلب استعماله في البلد كالأرز والذرة والدخن وغيرها، ولا يجزئ دفع القيمة بأن يخرج النقود بدلًا عن الزكاة؛ لأن ذلك مخالف لما أمر به رسول الله ﷺ ومخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم، فلم يكونوا يخرجون النقود في عصر النبي ﷺ ولا في عصر الصحابة من بعده، مع أن النقود كانت موجودة عندهم، وقد قال ﷺ: «**مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيهِ أَمرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١).

* **وأما التكبير**: فإنه يشرع من غروب الشمس ليلة العيد إلىٰ صلاة العيد، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥]، ويسن جهر الرجال به في المساجد والأسواق والبيوت إعلانًا لتعظيم الله وإظهارًا لعبادته وشكره، وقد ثبت «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَخرُجُ يَومَ الفِطرِ فَيُكَبِّرُ حَتَّىٰ يَأتِيَ المُصَلَّىٰ وَحَتَّىٰ يَقضِيَ الصَّلَاة، فَإِذَا قَضَىٰ الصَّلَاةَ قَطَعَ التَّكبِيرَ»(٢).

أما صفة التكبير: فقد ورد عن بعض الصحابة أنهم يقولون: «**اللهُ أَكبَرُ**

---

(١) رواه مسلم (١٧١٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٥٦٦٧)، وانظر «الإرواء» (٣/ ١٢٣).

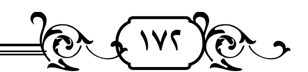
اللهُ أَكبَرُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَاللهُ أَكبَرُ اللهُ أَكبَرُ وَلِلَّهِ الحَمدُ» يقول ذلك كل مسلم بمفرده، أما التكبير الجماعي بصوت واحد يتفق في البدء والانتهاء فليس من السنة، ولم يفعله أحد من سلف الأمة، والخير كل الخير في اتباعهم.

والسنة في حق النساء أن يكبرن سرًّا؛ لأنهن مأمورات بغض الصوت والستر.

ما أجمل حال الناس وهم يملئون الآفاق بتكبيرهم تعظيمًا لله وإجلالًا؛ إعلانًا لانتهاء شهرهم، وشكرًا لله علىٰ توفيقه لهم بإتمام الصيام، واتباعًا لرسولهم، وتعبدًا لله بهذه الأذكار العظيمة التي تعلن لله العظمة والكبرياء والمجد والثناء حبًّا ورجاء وخوفًا وطمعًا.

* **وأما الأحكام المتعلقة بالعيد:** فيستحب الاغتسالُ للعيد، وأن يلبس المسلم أحسن ثيابه، ولا يجوز له أن يتجمل لا في العيد ولا في غيره بثياب من حرير أو ثياب مرخاة مسبلة، أو بلباس يصف العورة ويحجمها، أو بألبسة مختصة بالكفار، ولا يجوز له أن يتجمل لا في العيد ولا في غيره بحلق لحيته؛ لأن حلقها محرم وليس من الجمال في شيء، وفيه تشبه بالكفار وبالنساء؛ وإنما الجمال حقًّا والتزين صدقًا باتباع السنة ولزوم هدي إمام الأمة ﷺ.

والمرأة يشرع لها الخروج إلىٰ المصلىٰ بدون تبرج ولا تطيب، ويجب عليها أن تربأ بنفسها من أن تذهب لطاعة الله وهي متلبسة بمعصية التبرج والسفور والتطيب أمام الرجال الأجانب، فقد كان من هديه ﷺ أمرُ النساء بالخروج إلىٰ صلاة العيد، فعن أم عطية رضي الله عنها قالت: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَن



نُخرِجَهُنَّ فِي الفِطرِ وَالأَضحَىٰ؛ العَوَاتِقَ وَالحُيَّضَ وَذَوَاتِ الخُدُورِ، فَأَمَّا الحُيَّضُ فَيَعتَزِلنَ الصَّلَاةَ وَيَشهَدنَ الخَيرَ وَدَعوَةَ المُسلِمِينَ، قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِحدَانَا لَا يَكُونُ لَهَا جِلبَابٌ، قَالَ: «**لِتُلبِسهَا أُختُهَا مِن جِلبَابِهَا**»(١).

ويسن للمسلم أن يأكل تمرات في عيد الفطر قبل أن يغدو إلىٰ المصلىٰ لفعل رسول الله ﷺ، ويسن له إذا خرج أن يخالف الطريق فيذهب في طريق ويرجع في آخر، وليس قبل صلاة العيد ولا بعدها صلاة.

اللهم اختم لنا شهرنا بما يرضيك عنا من صالح الأعمال والأقوال، واجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم نلقاك.

❊❊❊

(١) رواه مسلم (٨٩٠).



مَاذَا بَعدَ رَمَضَان؟

إنَّ مما لا شك فيه أن كل صائم صام شهر رمضان وكل قائم قام لياليه ليرجو أن يكون صيامه وقيامه صالحًا مقبولًا، وأن يكون سعيه مشكورًا، ويبتهل إلىٰ الله بالدعاء ليحقق له هذا المطلوب ويتمِّم له هذا المرغوب، وللقبول علامات تشير إليه ودلالات تدل عليه وصفات يرجىٰ معها حصول هذا المأمول ومن ذلك: أن يجِد الإنسان نفسه في الخير والاستقامة والطاعة بعد رمضان خيرًا منها قبله؛ مقبِلًا علىٰ العبادة برغبة ونهم، محافظًا علىٰ الفرائض والواجبات ومؤديًا للصلوات في المساجد مع الجماعة، محبًّا للمعروف عاملًا به وآمرًا، ومبغضًا للمنكر ومجتنبًا له ومحذرًا.

وأما من كان حاله بعد رمضان كحاله قبله أو أسوأ منه؛ سادرًا في غيِّه وضلاله، متكاسلًا عن أداء الواجبات ومضيِّعًا، منغمسًا في المحرمات ومحرِّضًا، فهذه من علامات الخسران ودلالات عدم الربح؛ فهو لم يغتنم الأوقات في موسم الطاعات، ولم يتعرض للنفحات في موسم الهبات، ولم يسأل الله المغفرة ويبذل أسبابها في شهر المغفرة والرضوان، فيا عظم خسارته، ويا فداحة مصيبته، ويا هول عاقبته وعقوبته.

لقد كان شهر رمضان المبارك موسمًا عظيمًا للتعود علىٰ الطاعة والاجتهاد

في العبادة والتنافس في فعل الخيرات، وإنه لقبيح بالمسلم أن يتخلىٰ عن العبادة بعد انقضاء هذا الشهر الكريم، كما هو الحال من بعض الناس لا يعرفون الله وعبادته إلا في رمضان، ولهؤلاء يقال: يا من عرفت في رمضان أن لك ربًّا تعبده وتطيعه وتخشاه وترجوه كيف نسيته بعد رمضان؟!

ويا من عرفت في رمضان أن الله قد أوجب عليك الصلوات الخمس في المساجد كيف جهلت ذلك أو تجاهلته بعد رمضان؟!

ويا من عرفت في رمضان أن الله حرَّم عليك المعاصي كيف نسيت ذلك بعد رمضان؟!

ويا من عرفت في رمضان أن أمامك جنة ونارًا وثوابًا وعقابًا كيف غفلت عن ذلك بعد رمضان؟!

ويا من كنتم تملئون المساجد في رمضان وتتلون القرآن كيف خلَت منكم المساجد وهجرتم القرآن بعد رمضان!

عجبًا لقوم لا يعرفون الله إلا في رمضان ولا يخافون الله إلا في رمضان، وقد سئل بعض السلف عن حال مثل هؤلاء فقال: بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان.

إن رب الشهور واحد؛ فرب رمضان هو رب شوال وشعبان وسائر الشهور، والواجب علىٰ المسلم أن يعبد الله ويبتعد عن معصيته في كل وقت وحين، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩]، أي: داوم علىٰ

عبادة الله والإنابة إليه حياتك كلها حتىٰ تأتيك منيَّتك وينتهي عمرك في هذه الحياة؛ لأن حياة الإنسان ملك لله، والله يريد من العبد أن يعمرها بطاعته وعبادته لا بشيء آخر، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

فمن شغل وقته وعمره وصحته وفراغه وقوته وشبابه وعقله وفكره وقلبه ولسانه وسائر جوارحه بشيء لم يأمر به الله أو لم يشرعه رسولهﷺ من واجب أو مستحب أو مباح ينوي به التقرب لله فقد أساء لنفسه وظلمها ظلمًا عظيمًا وستكون عليه حسرة وندامة يوم القيامة بقدر تفريطه وتضييعه، ومن حافظ علىٰ شيء وداوم عليه يموت عليه ويبعث عليه.

وهذه سُنة الله في خلقه، ولذلك طلب من عباده وأوليائه الاستمرار علىٰ الإسلام والمداومة علىٰ أحكامه وشعائره حتىٰ يموت عليه، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: حافظوا علىٰ الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرىٰ عادته بكرمه أنه من عاش علىٰ شيء مات عليه، ومن مات علىٰ شيء بُعث عليه، فعياذًا بالله من خلاف ذلك»(١).

وروىٰ الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن مجاهد: أَنَّ النَّاسَ

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٨٧).

كَانُوا يَطُوفُونَ بِالبَيتِ، وَابنُ عَبَّاسٍ جَالِسٌ مَعَهُ مِحجَنٌ فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ وَلَو أَنَّ قَطرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَت لَأَمَرَّت عَلَىٰ أَهلِ الأَرضِ عَيشَهُم فَكَيفَ مَن لَيسَ لَهُم طَعَامٌ إِلَّا الزَّقُّومُ»(١).

ومن الدعوات الجامعة قول يوسف عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

ولا صلاح في الدنيا ولا سعادة فيها ولا أمن ولا أمان إلا بالتمسك بهذا الدين والالتزام بكل تعاليمه وشرائعه وتوجيهاته، بل صلاح الدنيا مرتبط بصلاح الدين، ولذلك جمع النبي ﷺ في دعائه بينهم فقال: «اللَّهُمَّ أَصلِح لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصمَةُ أَمرِي، وَأَصلِح لِي دُنيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصلِح لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيرٍ، وَاجعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِن كُلِّ شَرٍّ»(٢).

وكان ﷺ يستفتح شهره بالدعاء المعروف عند رؤية الهلال وهو قوله: «اللَّهُمَّ أَهلِلهُ عَلَينَا بِاليُمنِ وَالإِيمَانِ، وَالسَّلامَةِ وَالإِسلامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ»(٣).

تنبيهًا منه ﷺ إلىٰ التلازم والارتباط بين الأمن والإيمان والسلامة والإسلام،

---

(١) رواه أحمد (٢٧٣٥)، والترمذي (٢٥٨٥)، وابن ماجه (٤٣٢٥)، واللفظ لأحمد، وضعفه الألباني في «ضعيف ابن ماجه» (٩٤٤).

(٢) رواه مسلم (٢٧٢٠).

(٣) رواه الترمذي (٣٤٥١)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٧٤٥).

فكأنه يقول: إذا أراد الإنسان أن يعيش آمنًا سالمًا في شهره وفي سائر عمره فليتمسك بالإسلام وليَحْيَ على الإيمان، فإن من آمن بالله وتمسك بشرعه الذي أوحاه إلى نبيه ﷺ ولم يعكر ذلك بشيء من الشرك أو الكفر أو البدعة أو المعاصي؛ فإن الله قد ضمن له الأمن والسلامة والهداية في هذه الدنيا ويوم القيامة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ۝٣٢ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٠-٣٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأحقاف:١٣-١٤].

وروى مسلم، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «فَمَن أَحَبَّ أَن يُزحزَحَ عَنِ النَّارِ وَيُدخَلَ الجَنَّةَ فَلتَأتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، وَليَأتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَن يُؤتَى إِلَيهِ»[1].

نسأل الله أن يحيينا على الإسلام، وأن يميتنا على الإيمان، وأن يثبتنا على الحق والهدى إلى أن نلقاه سبحانه.

---

(١) رواه مسلم (١٨٤٤).



خُطبَةُ عِيدِ الفِطر[(١)]

الحمد لله رب العالمين، أحمده -تبارك وتعالىٰ- بمحامده التي هو لها أهل، وأثني عليه الخير كله لا أحصي ثناءً عليه هو -جل وعلا- كما أثنىٰ علىٰ نفسه، أحمده -تبارك وتعالىٰ- علىٰ نعمه المتوالية وآلائه المتتالية وعطاياه التي لا تعد ولا تحصىٰ، أحمده -جل وعلا- حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب -جل وعلا- ويرضىٰ، أحمده -جل وعلا- علىٰ نعمة الإسلام وعلىٰ نعمة الإيمان وعلىٰ نعمة القرآن، وعلىٰ كل نعمة أنعم بها علينا في قديم أو حديث أو خاصة أو عامة أو سر أو علانية، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأوَّلين والآخرين، وقيوم السموات والأرضين وخالق الخلق أجمعين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله وأمينه علىٰ وحيه ومبلِّغ الناس شرعه، فصلوات الله وسلامه عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد.

---

(١) بتاريخ: (١ شوال ١٤٣٢هـ).

ثم أما بعد:

أيها المؤمنون عباد الله: اتقوا الله تعالىٰ وراقبوه مراقبة من يعلم أن ربه يسمعه ويراه، واذكروا نعمة الله عليكم بهذا الدين القويم والصراط المستقيم وبالنبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- أن جعلنا له أتباعًا، ومن أهل هديه والمتمسكين بسنته؛ فلله الحمد علىٰ مننه العظيمة وآلائه الجسيمة.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

أيها المؤمنون عباد الله: هنيئًا لنا أمة الإسلام بهذا العيد العظيم واليوم المبارك الكريم؛ عيد الإفطار، عيد الفرح والاستبشار، عيدٌ منَّ الله -جل وعلا- علينا به أمة الإسلام متلألئًا مضيئًا بضياء الإيمان والتوحيد والطاعة لله -جل وعلا- والإخلاص له ﷻ، فهو -عباد الله- عيد فرح واستبشار، وعيد عبودية لله -جل وعلا- وادِّكار، وهو عيد تتحقق به اللُّحمة الإيمانية والأخوة الدينية والرابطة بأبهىٰ صورها وأجمل حُللها؛ فهنيئًا لنا ثم هنيئًا لنا أمة الإسلام بعيدنا السعيد ويومنا المبارك الكريم.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد.

أيها المؤمنون عباد الله: إن المؤمن في هذه الحياة سائر في طريق، وطريقه الذي يسير فيه له مقصود وغاية، والمقصود والغاية هو طاعة ذي الجلال، ورضا الكبير المتعال، غاية المسلم في سيره في هذا الطريق أن يرضىٰ عنه ربه ومولاه متحققًا ومتيقنًا بأنه عبدٌ لله -تبارك وتعالىٰ- وأنَّ واجبه في هذه الحياة

تحقيق العبودية لله ﷻ، فهو يسير في هذه الحياة ليعرف ربه ومولاه، وليتعرف عليه -جل وعلا- بما تعرف به علىٰ عباده من أسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا ودلائل جلاله وكماله وعظمته وكبريائه، وأنه الرب العظيم الخالق الجليل الذي بيده أزِمَّة الأمور ومقاليد السموات والأرض، ثم يُتبع المؤمن السائر هذه المعرفة بتحقيق العبودية لله فيخلص دينه كله لله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٧٢].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد.

أيها المؤمنون عباد الله: وطريق المؤمن السائر له مبدأ ونهاية؛ أما مبدؤه -عباد الله- فهو هذه الحياة، لا يزال المؤمن سائرًا في حياته إلىٰ الله ﷻ من منزلةٍ إلىٰ منزلة، ومن عبوديةٍ إلىٰ عبودية، ومن طاعةٍ إلىٰ طاعة، إلىٰ أن يتوفاه الأجل وتحضر المنية ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].

أما منتهىٰ السير فهو جنة ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

ففي الجنة -عباد الله- محط الرحال، ومرتع الآمال، وفي الجنة -عباد الله- هناءة السائرين، ولذتهم أجمعين في نعيمٍ مقيم، فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر.

وإذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ قال الله -جل وعلا- لهم -كما جاء في «صحيح مسلم»-: «**تُرِيدُونَ شَيئًا أَزِيدُكُم؟ فَيَقُولُونَ: أَلَم تُبَيِّض وُجُوهَنَا، أَلَم تُدخِلنَا**

الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِن النَّارِ، قَالَ: فَيَكشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعطُوا شَيئًا أَحَبَّ إِلَيهِم مِن النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِم ﷻ»[١].

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلىٰ وجهك، والشوق إلىٰ لقائك، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد.

أيها المؤمنون: وهذا السير لا بد فيه من محركات ليسير المؤمن وليقوىٰ سَيره إلىٰ الله ﷻ، وقد بيَّن العلماء -رحمهم الله تعالىٰ- أن لهذا السير محركاتٍ ثلاثًا؛ وهي في قلب المؤمن الصادق ألا وهي: المحبة، والرجاء، والخوف[٢].

فهذه الأمور الثلاث محركات للقلوب؛ أما المحبة -عباد الله- فهي التي تجعل المسلم يتجه إلىٰ الصراط المستقيم ويعزم علىٰ السير فيه، وتكون قوة سيره بحسب هذه المحبة قوةً وضعفًا، وأما الرجاء فهو القائد للمؤمن في سيره، وأما الخوف فهو الزاجر.

وقد جمع الله -جل وعلا- هذه الأمور الثلاث في قوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ

---

(١) برقم (١٨١).

(٢) **قال الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القلب في سيره إلىٰ الله ﷻ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتىٰ سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتىٰ قطع الرأس مات الطائر، ومتىٰ فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر». «مدارج السالكين» (١/ ٥١٧).

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧].

أيها المؤمنون عباد الله: وللسير أعمال لا بد منها ولابد من تحقيقها ولا بد من عناية من السائرين بها، وهي: فرائض الإسلام وواجبات الدين والقيام بأنواع العبودية لله -جل وعلا-، مع التجنب للآثام والبعد عن الحرام؛ خوفًا من عقاب الملك العلام سبحانه.

عباد الله: ولم يتقرب متقرب إلىٰ الله بشيء أحب إلىٰ الله ﷻ من فرائض الدين وواجباته، ففي «صحيح البخاري»(١)، من حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «**مَن عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَد آذَنتُهُ بِالحَربِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افتَرَضتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزَالُ عَبدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحبَبتُهُ كُنتُ سَمعَهُ الَّذِي يَسمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبصِرُ بِهِ وَيَدَهُ التِي يَبطِشُ بِهَا وَرِجلَهُ الَّتِي يَمشِي بِهَا، وَإِن سَأَلَنِي لَأُعطِيَنَّهُ، وَلَئِن استَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**».

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد.

أيها المؤمنون عباد الله: وفي طريق السائرين عقبات لا بد من تخطيها، ومن لم يتخطَّ تلك العقبات أصبحت عائقًا له في سيره إلىٰ الله -جل وعلا-، ولهذا كان متأكدًا علىٰ كل سائرٍ يرجو رحمة الله -تبارك وتعالىٰ- ويخاف عقابه أن يحذر ويحاذر من عقبات الطريق ومعوقات الطريق التي تغشىٰ الإنسان في سيره وطريقه، وهي تتلخص -عباد الله- في عقبات ثلاث ألا وهي(٢):

---

(١) برقم (٦٥٠٢).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» (١/ ٢٢٢).

- الشرك بالله؛ ويتخلص المسلم من هذه العقبة بإخلاص الدين لله -جل وعلا-.

- والعقبة الثانية: البدعة؛ ويكون التخلص منها بتجريد المتابعة للرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-.

- والعقبة الثالثة: المعاصي بأنواعها؛ ويكون التخلص منها بالتوبة مما وقع فيه من الذنوب وبالعزم علىٰ البعد عنها والمحاذرة من الوقوع فيها.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد.

أيها المؤمنون: وطريق السائرين إلىٰ الله ﷻ فيه لصوص وقُطَّاع طريق يقطعون علىٰ السائر طريقه، ويشوِّشون عليه في سيره، فيجب عليه أن يكون علىٰ حذرٍ منهم، وأعظم قُطَّاع الطريق الشيطان الرجيم -أعاذنا الله تبارك وتعالىٰ جميعًا منه-؛ ولهذا جاءت الآيات الكثيرات في كتاب الله -جل وعلا- بالتحذير من هذا العدو ووجوب اتخاذه عدوًّا، وبيان أنه يأتي الإنسان من جهاته كلها؛ من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، وأنه قاعد له بكل صراط لصدِّه عن دين الله ولإبعاده عن طاعة الله، قال ﷺ: «**إِنَّ الشَّيطَانَ قَعَدَ لِابنِ آدَمَ بِأَطرُقِهِ**»[1].

أي: بكل طريق يسير فيه يبتغي رحمة الله ويرجو ثواب الله، يقعد له الشيطان

---

(١) رواه النسائي في «الكبرىٰ» (٤٣٤٢)، وابن حبان (٤٥٩٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٥٥٨)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٩٧٩).

لصده وإبعاده وصرفه عن طاعة الله، وكذلكم من قطاع الطريق أعوان الشيطان وأحزابه من شياطين الإنس والجن وما أكثرهم، لا كثَّرهم الله وأعاذنا والمسلمين من شرورهم أجمعين.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد.

عباد الله: وهذا الطريق لا يصلح فيه التباطؤ والتماوت والكسل، بل الواجب فيه المسارعة للخيرات واغتنام الأوقات والمنافسة في الطاعات؛ ليفوز السائر فوزًا عظيمًا، ويغتنم المواسم الفاضلة والأوقات الفاضلة؛ ليجدَّ ويجتهد في طاعة الله وعبادة الله -تبارك وتعالىٰ-؛ لتكون له هذه الحياة مغنمًا، وإلىٰ الخيرات مرتقًى وسلَّمًا.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد.

عباد الله: ولكل عبد سائر في هذه الحياة أمدٌ لا يتعداه ووقت لا يتجاوزه؛ فإذا جاء الأجل لا يتقدم عنه العبد ساعة ولا يتأخر، والسعيد من عباد الله من يُعِدُّ لذلك اليوم عدته ويهيئ له جهازه بالطاعة والعبودية لله -تبارك وتعالىٰ-.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد.

أيها المؤمنون عباد الله: تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، وبلَّغنا جميعًا جزيل المواهب وخير الآمال، ووفقنا جميعًا لنيل رضاه، وبلغنا جميعا طاعته -جل وعلا- علىٰ ما يحبه ويرضاه، وهدانا إليه صراطًا مستقيمًا.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أيها المؤمنون عباد الله: اتقوا الله تعالىٰ، فإن من اتقىٰ الله وقاه وأرشده إلىٰ خير أمور دينه ودنياه.

وتقوىٰ الله -جل وعلا-: عملٌ بطاعة الله علىٰ نورٍ من الله رجاء ثواب الله، وتركٌ لمعصية الله علىٰ نورٍ من الله خيفة عذاب الله.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد.

أيها المؤمنون عباد الله: يأتي هذا العيد المبارك وأمة الإسلام تمر بها جراحات وآلام وآهات وأحزان، في جهات عديدة وفي مناطق متعددة، فهاهم في شهر رمضان وفي ذلك الموسم العظيم لم يسلَموا من التقتيل والتشريد ولم يسلموا من انتهاكات سافرة وتعديات آثمة وتجاوزات مشينة في مصائب عظام وآلام جسام، والمسلمون - عباد الله- مثلهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ، وهاهم -عباد الله- في الصومال في معاناة وشدائد لا يعلم بها إلا الله، في مجاعات مهلكة وشدة عظيمة لا يعلم بمداها إلا الله -جل وعلا-.

وقد وفَّق الله المسلمين في هذه البلاد وفي بلدان عديدة إلىٰ الوقوف مع إخوانهم بما يسَّر الله -تبارك وتعالىٰ- مما يحقق معاني الأخوة ويحقق معاني اللُّحمة، والواجب -عباد الله- أن يحس المسلم بآلام إخوانه وأحزانهم؛ فالمسلمون أفراحهم واحدة وأتراحهم واحدة، ومثلهم كالبُنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا.

ولهذا -عباد الله- لنتذكر في هذا العيد إخوانًا لنا يعاينون مجاعات شديدة وصعاب مؤلمة فلا نتركهم من دعوات صادقة أن يشبع الله جائعهم وأن يكسو عاريهم وأن يروي عطشانهم، ونتذكر إخوانًا لنا في مناطق أخرىٰ يعانون من شدة الحروب وأهوال القتل والتشريد والانتهاك للحرمات والتعديات الآثمة فهم في فزع دائم وقلق وخوف مستمر؛ فلا أقلَّ من أن يخلِص المسلم الدعاء بالتوجه إلىٰ الله ﷻ أن يؤمِّن روعاتهم، وأن يستر عوراتهم وأن يحفظهم -جل وعلا- من بين أيديهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ومن خلفهم فهو الحفيظ وحده -جل في علاه-.

وأن يتذكر إخوانًا له في المستشفيات اشتدت بهم الآلام وتعددت معهم الأمراض وزادت فيهم الآهات، فيدعو الله -تبارك وتعالىٰ- أن يشفي مريض المسلمين وأن يفرج كرباتهم، وأن ييسر أمورهم وأن يحفظ المسلمين في كل مكان.

إلىٰ غير ذلكم من المعاني العظيمة التي ينبغي أن نتذكرها، وألا نكون في غفلة عنها.

وأخيرًا عباد الله: لنتذكر ما جاء في الحديث أن الشياطين في شهر رمضان تصفد؛ وكأني بهم في مثل هذا اليوم وقد انتهىٰ شهر رمضان وقد انطلقوا من أقيادهم وسلاسلهم بنشاط وعزم لصد المسلم عن طاعة الله وصرفه عن عبادة الله؛ فلنستعذ بالله صادقين من الشيطان الرجيم، ولنكن عبادًا لله حقًّا متعوذين من الشيطان ومتعوذين من النفس الأمَّارة بالسوء مقبلين علىٰ الله بالإخلاص والمتابعة للرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد.

عباد الله: كل وحد منا راعٍ وهو مسئول عن رعيته، والرعية أمانة يُسأل عنها المؤمن يوم القيامة؛ ألا فلنتقِ الله في أهلينا، ولنتقِ الله في أولادنا، ولنحرص علىٰ تربيتهم وتأديبهم بآداب الإسلام وأخلاقه الفاضلة وآدابه الكريمة؛ أصلح الله لنا جميعًا النية والذرية.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد.

❊❊❊

فهرس الموضوعات

❊❊❊


مقالات رمضانية
شهر الصيام.. آداب وأحكام
إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
اعتنى بجمعها وعلق عليها